مجلة شهرية

Issue No: 210 عدد:

February 2025 شهر شباط

نـــــــور يسوع المسيح المسيـــــح

ΧΡΙΣΤΟΥ العلي الأبد Φ Ω Σ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

Ιερά Μονή Ιβήρων Αγίου Όρους

دير الرُّوم العامر إيفيرون، جبل آثوس

أيقونة العذراء پورتايتيسا الصانعة العجائب

عَيْنَا العذراءِ سَاهِرَتَانِ عَلَى خَلاَصِ نُفُوسِنَا

العذراءُ والدةُ الإلهِ، ملكةُ الجبلِ المقدسِ، يا من تحملينَ فيكِ سرَّ الخلاصِ، أنتِ الحصنُ المنيعُ للمؤمنينَ وشفيعةُ جميعِ الرهبانِ. في جبلِ آثوسَ، حيثُ يُصلي أبناؤُكِ بتواضعٍ، تبسطينَ رحمتكِ ونعمتكِ على كلِّ من يلجأُ إليكِ. أنتِ ملكةُ السماءِ والأرضِ، ولا تزالينَ تشعينَ بنورِ الإيمانِ، شاهدةً على عظمةِ نعمةِ اللهِ وحبِّهِ اللامتناهي

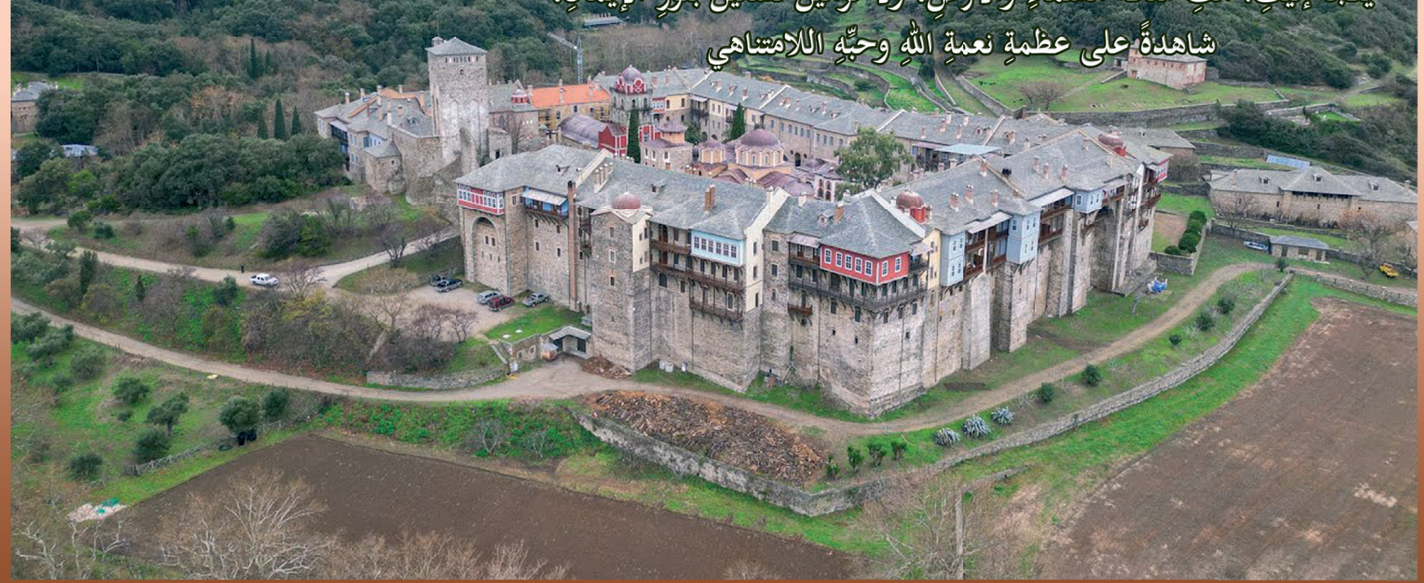

كلمة صاحب الغبطة
بطريرك المدينة المقدسة
كيريوس كيريوس ثيوفيلوس الثالث

«إنَّ الكاملَ يُفرَغُ، والَّذي قبل الدهور يأخذُ بدايةً، والكلمة يتجسَّد، والخالقُ يُخْلَقُ، وغيرُ الموسوعِ يُوسعُ في مستودعِكِ يا عذراءُ الممتلئة نعمةً».

أيُّهَا ألابناء المحبوبون بالرَّبِّ الفادي يسوع المسيح

نحتفل في هذا اليوم بعيد **القديس سمعان الصدِّيق القابل الإله وحنَّة النبيَّة**، وهو استمرار للعيد العظيم «عيد دخول **المسيح** إلى الهيكل»، الذي يُحتفل به بعد مرور أربعين يومًا على ميلاد السيد **المسيح** بالجسد.

إن ذكرى دخول المسيح إلى الهيكل تأتي لتؤكد، بصورة قاطعة وبقوة، سرَّ تجسُّد كلمة الله. هذا السر الذي أُعلن عنه من قبل في العهد القديم (في أسفار موسى والأنبياء)، أي في الكتاب المقدس.

تلعب العذراء مريم الدور الأول والمركزي في عيد دخول المسيح إلى الهيكل، تليها شخصية سمعان الصدِّيق، كما بشر بذلك الإنجيلي لوقا.

وحسب الناموس، وُضِعَت فريضة لبني إسرائيل بأن يكون البكر مخصصًا لله، كما أمر موسى النبي: «قَدِّسْ لِي كُلَّ بِكْرٍ، كُلَّ فَاتِحِ رَحِمٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، مِنَ النَّاسِ... إِنَّهُ لِي» (خروج ١٣:١-٢).

هذه **الفريضة الناموسيَّة**، تبيِّن أنواع الذبائح المطلوبة عند **تطهير المرأة بعد إنجابها**، وكذلك **بالتقدمة** التي كانت فريضة تُسفَك عند باب خيمة الاجتماع؛ بعد مرور الأربعين يومًا منذ زمن الولادة. (لا ١٢:١-٤).

هذه التقدمة، كما هو سفر اللاويِّين: «وَمَتَى كَمُلَتْ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا لأَجْلِ ابْنٍ أَوِ ابْنَةٍ، تَأْتِي بِخَرُوفٍ حَوْلِيٍّ مُحْرَقَةً، وَفَرْخِ حَمَامَةٍ أَوْ يَمَامَةٍ ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ إِلَى بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ، إِلَى الْكَاهِنِ ... وَإِنْ لَمْ تَنَلْ يَدُهَا كِفَايَةً لِشَاةٍ تَأْخُذُ يَمَامَتَيْنِ أَوْ فَرْخَيْ حَمَامٍ، الْوَاحِدَ مُحْرَقَةً، وَالآخَرَ ذَبِيحَةَ خَطِيَّةٍ، فَيُكَفِّرُ عَنْهَا الْكَاهِنُ فَتَطْهُرُ» (لاويين ١٢: ٦-٨).

لقد أَتَمَّا يوسف العفيف، خطيب العذراء، ومريم والدة الإله، تنفيذ هذه الفريضة قبيل دخولهما الهيكل بصحبة الصبي الإلهي يسوع. «وَلَمَّا تَمَّتْ أَيَّامُ تَطْهِيرِهَا، حَسَبَ شَرِيعَةِ مُوسَى، صَعِدُوا بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ لِيُقَدِّمُوهُ لِلرَّبِّ» (لوقا ٢:٢٢)

دخول الصبيّ **يسوع** إلى الهيكل كان حدثًا جهارًا وشوهِدَ عن كثب، وكان **البار سمعان الصدِّيق** بانتظاره: «وَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ أَنَّهُ لاَ يَرَى الْمَوْتَ قَبْلَ أَنْ يَرَى مَسِيحَ الرَّبِّ.» «...أَخَذَهُ عَلَى ذِرَاعَيْهِ وَبَارَكَ (مَجَّدَ) اللهَ وَقَالَ: «الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا **خَلاَصَكَ**، الَّذِي أَعْدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ.» (لوقا ٢:٢٩-٣٢).

(خلاصك) الذي أعدَّهُ **الله الآب** أمام جميع الشعوب ؟؟؟

ما هو هذا – أيُّها الأخوة الأحباء – إلَّا مخلِّص العالم ربّنا يسوع المسيح كلمة الله الكامل الذي أفرغ ذاته، فَوُلِدَ طفلًا من أحشاء العذراء النقيَّة بقوَّة الرُّوح القُدُس، آخِذًا بدايةً (**في ملء الزمان**) ليفصل تاريخ وزمن البشريَّة: الى ما قبل الميلاد وما بعده.

(خلاصك) كما يقول **القديس باسيليوس الكبير**، وحسب الإعلان الإلهي في الكتاب المقدس، أنَّ **(خلاصك)**: تعني **المسيح الله الكلمة**.

(خلاصك) حسب تعليم **القديس أثناسيوس الكبير** يتمحور على حقيقة: **سرِّ التجسد الإلهي**.

إنَّها الحقيقة الإلهيَّة الخلاصيَّة بتجسد **كلمة الله** بواسطة **الرُّوح القدس، ومسرَّة الله الآب**، هذا السرّ الذي تُبشِّر به الكنيسة الأورشليميَّة الأُم، والتي من بين كنائسها، **كنيسة القدس سمعان الشيخ، حيث ضريحه الكريم**، والتي بُنيت بهمَّةِ وإيمان **أباطرة الرُّوم الأرثوذكس الورعين**.

هذه البشارة والرسالة السَّارة المكتوبة في ناموس **الرَّبِّ** : « أَنَّ كُلَّ ذَكَرٍ فَاتِحَ رَحِمٍ يُدْعَى قُدُّوسًا لِلرَّبِّ.» (لوقا٢:٢٣). هذا المعنى مرتبط ومتعلِّق فقط في **المسيح المخلِّص** ولا يمكن تطبيقه على آخر غيره، كما يوضح **القديس أمفيلوخيوس أسقف إيكونيون**. على الرغم من أن فحوى الآية تشير إلى الجميع، إلا أنَّ **قديسينا أمفيلوخيوس** يُعلِّم أنَّ جميع العذارى يُفتح عندَهُنَّ الرَّحم من خلال الجماع بين الزوجين، وبعدها يأتي دور الولادة. **أمَّا السيِّد المسيح** فهو الوحيد الذي ينفرد

بوضعيَّةٍ خاصة، إذ هو الذي فتح **الرحم البتولي من الداخل**، لأنَّهُ حُبِلَ به بواسطة **الرُّوح القُدُس**. من هنا يتبيَّن أنَّهُ الوحيد المدعُوّ **قدوسٌ للرَّبِّ**.

إنَّ الأدلَّة التاريخيَّة والشخصيَّة، مثل شهادتي **سمعان الصديق وحنَّة النبيَّة**، لا تقبلان أدنى شَكٍّ. ومن بين هذه الأدلة الحدث التاريخي المرتبط بترجمة العهد القديم (المعروفة بالترجمة السبعينيَّة) إلى اللغة اليونانيّة. أثناء هذه الترجمة، كان **سمعان الصديق**، الذي كان يعمل على ترجمة النصوص المقدسة في جزيرة فاروس بالقرب من الإسكندريَّة، قد تلقَّى إعلانًا إلهيًّا بأنَّه لن يموت قبل أن يشاهد **المسيح الرَّبّ**. وتحقَّق هذا الإعلان اليوم، حيث قال **سمعان الصديق**: «أبصرتْ عيناي خلاصك»، أي: **المسيح**.

يا أخوتي لا يستطيع العقل البشري أنْ يفهم كُنْهَ وفحوى هذا السِّرِّ حتى ولو كان خارج المنطق والعقل البشري، دون مساهمة وقوَّة الإيمان المُعلَن. وهذا ما تؤكِّده الكنيسة من خلال تعاليمها اللاهوتيَّة، ومنها:

«فِيمَا كَانَ القَبْرُ مُخْتَوَمًا مِنَ الأَثْمَةِ بَرَزْتَ مِنْهُ يَا رَبُّ عَلَى نَحْوِ مَا وُلِدْتَ مِنَ العَذْرَاءِ. فَكَمَا أَنَّ مَلاَئِكَتَكَ العَدِيمِي الأَجْسَادِ لَمْ يُعَلِّمُوا كَيْفَ تَجَسَّدْتَ، كَذَلِكَ الجُنْدِيَّ الَّذِي كَانَ يَحْرُسُ قَبْرَكَ لَمْ يَشْعُرْ وَلَمْ يَدْرِ مَتَى قُمْتَ. لِأَنَّ الأَمْرَيْنِ كِلَيْهِمَا مُخْتَوَمَانِ عَنْ البَاحِثِينَ. **وَأَنَّمَا ظَهَرَتِ المَعْجِزَتَانِ لِلَّذِينَ يَسْجُدُونَ بِإِيمَانٍ لِلسِّرِّ** الَّذِي نُسَبِّحُهُ طَابِبِينَ أَنْ تَمْنَحَنَا الابْتِهَاجَ وَعَظِيمَ الرَّحْمَةِ.» (**القديس يوحنا الدمشقي–الأينوس– اللحن الخامس–المعزي**).

أيها الأخوة الأحباء

نستلم نحن أيضًا ترس الإيمان مقتدين **بالبار سمعان الشيخ** لنصبح مستحقين لأستقبال النور الخلاصي، **لربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع ، في اليوم الرَّهيب في دينونته العادلة والمخوفة**. آمين

الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

ذاعَ الخبرُ في كُلِّ أنحاءِ المدينة ، **الملكة** تريدُ **شَبابًا طِوال القامَةِ للعملِ ضمن حُرَّاسها**، كان امتيازًا فائقًا أنْ **يعملَ شخصٌ** في خدمة **الملكة**، ولذا تمنَّى كلُّ شابٍ أنْ ينجحَ في الاختبارِ وأنْ يقعَ عليه **الاختيار**.

قابل أحدهم صديقًا له فتحدَّث اليه قائلا: «أعْتَقِدُ أنَّ فرصتي هي الأكبر، وإنَّ قامتي أطول»، ثم وضَعَا كتِفَيْهِمَا جنبًا الى جنبٍ، ليعرفا عمليًّا حقيقة الأمر... بالطَّبعِ لم تكن هذه هي المقابلة الوحيدة التي جرت هكذا، فسرعان ما امتلأت المدينة بالمقارنات والقياسات، **وتحدَّث شابٌ الى نفسه قائلا: « أعتقد أنَّني قستُ نفسي بكُلِّ شباب المدينة ... إنَّ قامتي تعلوهم جميعًا ... حتمًا سوف أنجح»** .

وجاءَ يومُ الاختبار، و اكتشف الشبابُ أنَّ هناك **شرطًا** آخرَ: **فالملكةُ** لا تريدُ فقط طولَ القامةِ، بل من **يزيدُ** منهم **عن المتر والثمانين سنتيمترًا** ؛ وعاد الشَّابُ السابقُ ليقول لنفسه «**حسنًا بِكُلِّ تأكيد سأكون حارسًا للملكة... أنَّني أطول الجميع**».

وتمَّ قياس الاطوال بكُلِّ دِقَّةٍ وظَهَرَ أنَّ طولَ هذا الشابِ هو: **مئةٌ وتسعةٌ وسبعون سنتيمترًا ونصف السنتيمتر**، كان **أقَلَّ طولًا** من المطلوب بنصف سنتيمترٍ فقط. إنَّهُ **أمام شرط الملكة، قصيـرٌ**... لا فرق بينه وبين أقصر شابٍ في المدينة؛ **كلاهما مرفوض**.

كثيرون يفعلون مثل هذا الشاب، يقيسون أنفسهم **بغيرِهم**، ببقيَّةِ الناس. هكذا **فَعَلَ الفرِّيسيُّ** في المثل الذى حدَّثنا به **الرَّبُّ يسوعُ** في **أنجيل لوقا**...**كثيرون** يقيسون أنفسهم **بغيرِهم**، فيتوهَّمون أنهم مقبولون لدى الله لانَّهم أفضلُ من غيرهم... يظنُّون أنَّهم مقبولون لمجرد كونهم لا يفعلونَ خطايا معيَّنة مثل **القتلِ والزِّنى** أو لانَّهم لا يُؤذون أحدًا... ونسَوْا أنَّ مقياس اللهِ يختلف تمامًا عن **مقاييس البشر**، وأنَّ **خطيَّةً واحدةً** يفعلُها الانسانُ ولا تُغفر له، **تحرِمُهُ** من التمتُّع **بإلٰهِهِ** .

في **كُلِّ تاريخ البشريَّة، لم ولن** يوجد انسانٌ استطاعَ أنْ يُحقِّقَ شروطَ الله إلَّا شخصٌ واحد... هو **الالهُ المُتجَسِّدُ، الرَّبُّ يسوعُ المسيحُ**، الوحيدُ الذى لم يفعل **خطيَّةً واحدة** ...

ليس هناك في الوجود امتيازٌ أعظمُ من أنْ نكونَ «في المسيح» البارِّ والكامل. **فبدون المسيح**، أيُّ انسانٍ أيًّا كان هو **قصيـرٌ، قصيـرٌ جـدًّا عن مقياس السماء**...

الله ظهر بالجسد

«الله ظَهَرَ بالجسد» من أقوال آباء الكنيسة العظام:

✝ **القديس غريغوريوس، الناطق بالإلهيَّات** يتحدَّث عن هذا الاتِّحاد العجيب الذي تحقَّقَ في **المسيح يسوع** بين اللاهوت والناسوت، ويوضح غاية هذا السرِّ العظيم هو أن نصير نحن البشر واحدًا مع الله في **المسيح يسوع**، فيقول:

[يا له من اتِّحادٍ من نوعٍ جديد! يا له من التحامٍ إعجازي! الكائن بذاته يُشارِك في الصيرورة (إذ قد صار جسدًا)، غير المخلوق يجعل نفسه مخلوقًا، غير المُحْوَى يصير محويًّا؛ وذلك بتوسُّط نفسٍ عاقلة تتوسَّط بين لاهوتهِ وكثافة الجسد. الذي يُغني الجميع يجعل نفسه مُفتَقَرًا (**من أجلنا**)، فقد افتقر بأَخذ جسدي لكي أغتني أنا بلاهوته. الذي هو "**الملء**" قد أفرغ نفسه (أخلى ذاته) من مجدِهِ إلى حينٍ، لكي يجعلني أنا شريكًا في مِلْئِهِ. **فما أغنى صلاحه، وما أعظم هذا السِّرَّ الذي صنعه لأجلي!**

كنتُ شريكًا في صورتِهِ (عندما خلقني على صورته ومثاله)، ولم أُحافظ على الصورة (**التي جُبِلتُ عليها**). والآن، قد اشتَرَكَ (هو) في جسدي (عندما تجسَّد)، ليُجدِّد فِيَّ هذه الصورة (**التي تشوَّهت من جراء التعدِّي على وصيَّة الله**)؛ بل ويجعل جسدي أيضًا خالدًا (عندما يمنحه الحياة). فقد أعطاني شركةً معه أعجب بكثير من الشركة الأولى: ففي القديم، أشركني فيما هو أفضل مني (**عندما جبلني على صورته ومثاله**)؛ وأمَّا الآن، فقد اشتَرَكَ هو في أدنى ما فِيَّ (ليُخلِّصني). وإنَّ هذا العمل الأخير (كونه، وهو **كلمة الله**، صار إنسانًا من أجلي) يُظهِر **صلاحه الإلهي** بصورةٍ أسمى بكثير من العمل الأول لَدَى **ذوي البصيرة الفهم!**] (١).

✝ ويشرح **القديس غريغوريوس** أيضًا ما ذَكَرَه **بولس الرسول**: «فَإِنَّكُمْ تَعْرِفُونَ نِعْمَةَ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمُ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لِكَيْ تَسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ» (٢كو ٨: ٩)، فيقول:

[لقد وُلِدَ (**ابن الله** في الجسد) بكلِّ ما للإنسان، ما خلا **الخطيَّة**؛ **وُلِدَ من عذراء طَهَّرَهَا الرُّوح القُدُس، جسدًا وروحًا**. (لقد) خرج منها **إلهًا** مع الجسد الذي اقتناه، واحدًا من اثنين مختلفين: واحدٌ كان **يُؤَلِّه** (وهو **كلمة الله**)، والآخر **يتألَّه** (الناسوت). يا له من اقترانٍ من نوعٍ جديد! يا له من اتِّصالٍ مُدهش عجيب! فهوذا «الكائن بذاته» «يصير» جسدًا «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا» (يو١: ١٤)، وغير المخلوق يأخذ صفة المخلوق، وغير المُحوَى يدخل إلى حدود (الزمان والمكان)، ومُعطي الغِنَى يجعل نفسه فقيرًا (٢كو٨: ٩). إنَّهُ يفتقر بأَخْذِ **جسدي**، لكي أغتَنِي أنا بلاهوته. هوذا المملوء (نعمةً وحقًّا) (يو١: ١٤) يُخلي نفسه أي يُفرغ ذاته (في٢: ٧). فإنَّهُ يُفرغ (يُخلِي) ذاته من مجده الخاص إلى حينٍ، حتى أَشْتَرِك أنا في مِلْئه (يو١: ١٦). فما أعظم غِنَى صلاحه! وما أعظم هذا السِّرَّ الحادث **من أَجْلِي!**] (٢).

✝ أمَّا **القديس يوحنا الذَّهبي الفم** فيشرح كيف أنَّ **ابن الله**، بتجسُّده، صار ابنًا للإنسان لكي يصير البشر أبناءً لله في **المسيح يسوع ربنا**، فيقول:

[«كِتَابُ مِيلاَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ» (مت ١: ١). في هذا قِمَّةُ العَجَب: إنَّهُ مع كونه **ابنًا خاصًا للإله غير المُبتدئ**، قد احتمل أنْ يُدعَى **ابنًا لداود**، لكي يجعلك أنت ابنًا لله. لقد احتمل أن يصير **العبد** (أي داود النبي) أبًا له (بحسب الجسد)، لكي يجعل السيِّد **الرَّبَّ** (الآب السماوي) أبًا لك أيها **العبد** ... فحينما تسمع أنَّ **ابن الله هو ابن داود بن إبراهيم**، تيقَّن أنك أنت – **يا ابن آدم** – ستصير ابنًا لله. فليس جُزافًا أو باطلًا قد وَضَعَ نفسه إلى هذا الحدِّ، إلَّا لأنَّهُ كان ينوي أنْ يرفعَنا معه إلى فوق! فإنَّهُ قد وُلِدَ بحسب الجسد، لكي تولَد أنت بحسب الرُّوح... فكما إذا وقف أحدٌ بين شخصين مُنفصلَين، ومدَّ يديه من الناحيتين لكي يُوحِّدهما معًا؛ هكذا فعل هو ليُوحِّد العهد القديم بـ (العهد) الجديد، **والطبيعة الإلهيَّة بالبشرية**، والذي له **بالَّذي لنا!**] (٣).

✝ وفي نفس هذا السياق، يشرح **القديس يوحنا الذَّهبي الفم**، كيف أنَّ **ابن الله** بتجسُّده وتنازُله العجيب من أجل خلاصنا، رَفَعَنا نحن إلى غِنَى مجدِهِ الذي لا يُنطَق به، فيقول:

[«الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا...» (يو١: ١٤)، بعد أن قال (**الإنجيلي يوحنا**) إنَّ الذين قبلوه أعطاهم (سلطانًا) أنْ يولدوا من الله، بل وأنْ يصيروا أولادًا لله؛ يُبيِّن السبب والأصل في هذه الكرامة التي لا يُنطَق بها: السبب هو أنَّ «**الْكَلِمَةَ صَارَ جَسَدًا**»، أنَّ السيِّد قد أَخَذَ لنفسه

شكل **العبد**. فقد صار ابنًا للإنسان، ذاك الذي هو ابنٌ لله الخاص، لكي يجعل بني البشر يصيرون أولادًا لله. لأن الغَنِيَّ حينما يتَّحد بالأدنياء، لا يُنقِص إطلاقًا من مجده الخاص؛ بينما يرفع الآخرين من منتهى مذلَّتهم، وهذا هو ما حدث في **المسيح**. فإنَّهُ بتنازُله لم يُنقِص إطلاقًا من طبيعته الخاصة (أي لاهوته)؛ ولكنه رَفَعَنا **نحن الجالسين في الظلمة بمنتهى المذلَّة**، رَفَعَنا إلى مجدٍ لا يُنطَق به][٤].

✝ **والقديس كيرلُّس الكبير** يشرح كيف أنَّ ابن الله عندما صار إنسانًا، فبسبب اتِّحاد **كلمة الله بالطبيعةِ البشريَّة**، مَنَحَ جسده الخاص هِبَاتٍ وبركاتٍ خاصة، نقلها بدوره فيه إلى كُلِّ البشر، فيقول:

[ينبغي أنْ نبحث كيف يجب أنْ نفهمَ أنَّ **الله الآب** «إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ، وَلأَجْلِ الْخَطِيَّةِ، دَانَ الْخَطِيَّةَ فِي الْجَسَدِ» (رو ٨: ٣). إنَّ **الابن**، وهو إلهٌ بطبعه وقد أشرق من **جوهر الآب**، له في ذاته – طبيعيًّا – عدم تغيير صفاته الخاصة، وبالتالي هو غير قابل على الإطلاق للانزلاق في الخطيَّة ولا للانحراف بأيِّ شكلٍ نحو ما ليس بمستقيم؛ هذا قد جعله **الله الآب** ينزل بإرادته إلى **الجسد الرازح تحت الخطيَّة**. وأعتقد أنَّنا لا نكون على صوابٍ إذا ما ظَنَنَّا أنَّ **ابن الله** الوحيد قد صار إنسانًا لمجرَّد أنْ يُحقِّقَ ذلك لهيكل جسده الخاص. فأيُّ مجدٍ وأيَّة منفعة تكون لمجيئه إلينا إنْ كان قد أنقذ فقط جسده الخاص؟ ولكننا نؤمن، بالحري، أنَّ الابن الوحيد قد صار إنسانًا مثلنا، ليقتني هذه الخيرات لصالح **الطبيعةِ البشريَّة** بشمولها، بواسطه نفسه وفيه هو أولًا، **بصفته باكورة البشريَّة**][٥].

✝ ويتحدَّث **القديس كيرلُّس الكبير** عن الطفل المولود والملفوف بالأقماط، فيرفع عقولنا وقلوبنا إلى تأمُّل مجده الأسنى **كإله**، فيقول:

[حينما ترى الطفل ملفوفًا بالأقماط، لا تُركِّز فكرك على ميلاده في الجسد فقط، بل ارتفع إلى تأمُّل مجده الإلهي. ارْفَعْ عقلك عاليًا، اصْعَدْ إلى السماء، وهكذا سوف تنظره في أعلى تمجيد، وهو صاحب المجد الفائق. سوف تراه «جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ (عرشٍ) عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ» (إشعيا ٦: ١). سوف تسمع **السيرافيم** يُمجِّدونه بتسابيح، ويقولون: إنَّ السماء والأرض مملوءتان من **مجدِه**. نعم، بل حتى على الأرض قد حدث هذا، لأن **مجد الله** أضاء على **الرُّعاة**، وكان هناك جمهورٌ من الجنود السماويين يُخبرون **بمجدِ المسيح**...

لذلك لا تنظر إلى المُضطجع في المذود على أنَّهُ مجرَّد طفل، بل في فقرنا انظر ذاك الذي هو غَنِيٌّ **كإله**. وفي مستوى بشريتنا، انظر ذاك الذي يفوق سكَّان السماء؛ ولذلك **يُمجَّد من الملائكة الأطهار**. وما أرفع تلك التسبحة: «الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ» (لو٢: ١٤)، لأنَّ الملائكة ورؤساء الملائكة والعروش والسيادات، وأعلى منهم السيرافيم، هم يحفظون رُتَبهم المُعيَّنة، وهم في سلامٍ مع **الله**، لأنهم لا يتعدَّون إرادته الصالحة أبدًا بأيَّةِ طريقةٍ...

أمَّا نحن **المخلوقات البائسة، فقد وَضَعْنا أنفسنا في موضع الأعداء** بالنسبة **للرَّبِّ**، **لأننا وَضَعنا شهواتنا الخاصة ضِدَّ مشيئته**. ولكن **المسيح** قد أبْطَلَ كل هذا: «لأَنَّهُ هُوَ سَلاَمُنَا» (أف٢: ١٤)، لأنَّهُ قد وحَّدنا مع **الله الآب** بواسطة **نفسه**، إذ قد رَفَعَ سبب العداوة من الوسط، وأعني به **الخطيَّة**. وهكذا هو يُبرِّرنا بالإيمان، ويجعلنا قدِّيسين وبلا لوم، والذين كانوا بعيدين يدعوهم قريبين إليه. وإلى جانب ذلك، فقد خَلَقَ الشعبَيْن في إنسانٍ واحدٍ جديد، صانعًا سلامًا، ومُصالِحاً الاثنين في جسدٍ واحدٍ مع الآب. لأنه قد سُرَّ الله الآب أن يجمع فيه كُلّ الأشياء (اف ١: ١٠-١)، في واحدٍ جديدٍ مُتكامل؛ وأن يربط الأشياء السُّفْلَى مع الأشياء التي فوق، ويجعل الذين في السماء والذين على الأرض رعيَّةً واحدة. لذلك، **فالمسيح** قد صار لنا سلامًا ومسرَّةً، الذي **به ومعه لله الآب**، المجد والكرامة والقدرة، مع **الرُّوح القُدُس**، إلى دهر الدهور، آمين][٦].

✝ ويشرح **القديس كيرلُّس الكبير** كيف تُدعَى **العذراء مريم والدة الإله**! وكيف أنَّ المولود منها، ليس مجرَّد إنسانٍ فقط، ولكنه **الله** الظاهر في الجسد، فيقول:

[وُلِدَ **الكلمة من اللهِ الآب** بطريقةٍ لا نُدركها، بل هي فوق مستوى الإدراك والفَهم، وهذا يليق بالطبيعة غير الماديَّة. ولكن الذي وُلِدَ هو **من ذات الآب وواحد معه في الجوهر**، لذلك يُدعَى «**الابن**»، وهذا الاسم يُوضِّح لنا حقيقة الميلاد الأزلي... لكنه في الزمان الأخير، لأجلنا نحن البشر ولأجل خلاصنا، نزل من السماء **وتجسَّد وتأنَّس**، دون أن يفقد خواصه، لأن طبيعته غير مُتغيِّرة وكائنة إلى الأبد **في مجدِ الله الفائق**. لكن لأجلنا وتدبيريًّا، قَبِلَ أنْ يُخلي ذاته، بل وقَبِلَ فقرنا... لذلك **تجسَّد ووُلِدَ من امرأة حسب الجسد**. والذي حدث أنَّهُ **أَخَذَ من العذراء القديسة جسدًا واتَّحد به اتِّحادًا حقيقيًّا**. لذلك نعتقد **أنَّ العذراء القديسة هي والدة الإله، لأنها قد ولدته حسب الجسد**، لكنه مولودٌ في ذات الوقت من **الآب** قبل كُلِّ الدهور. والذين يفترضون أنَّ **الكلمة** ابتدأ أو وُجِدَ عندما صار إنسانًا، إنما يفترضون رأيًا مُضادًّا للتقوى... فلا يضطرب أحدٌ عندما يسمع **أنَّ العذراء هي والدة الإله**... وسِرُّ **المسيح** واضحٌ، «لِلْيَهُودِ عَثْرَةً، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةً!» (١ كو١: ٢٣)؛ أمَّا بالنسبة لنا نحن الذين نعرفه، فهو سرُّ الخلاص الذي يستحقُّ كُلّ إعجاب][٧].

✝ ويُعلِّق **القديس كيرلُّس الكبير** على الآية التي تقول: «وَأَمَّا يَسُوعُ فَكَانَ يَتَقَدَّمُ فِي الْحِكْمَةِ وَالْقَامَةِ وَالنِّعْمَةِ، عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ» (لو٢: ٥٢)، فيقول:

[**الكلمة** يحتمل ويقبل أن يُولَد في صورةٍ بشريَّة، رغم أنَّهُ **في طبيعته الإلهيَّة** ليس له بداية وليس خاضعًا للزمن... وهكذا فإنَّ **اللهَط الكلمة** أخلى نفسه! لأن الأشياء التي كُتِبَت عنه كإنسانٍ تُظهِر طريقة إخلائه... (ف) حينما صار إنسانًا مثلنا، فإنه **وُلِدَ حسب الجسد من امرأة**، وقيل عنه إنَّهُ كان خاضعًا للأمور التي تختصُّ بحالة الإنسان. ورغم أنَّ **الكلمة** لكونه **إلهًا** كان يستطيع أن يجعل جسده يبرز من البطن في قامة رجلٍ، إلَّا أنَّ هذا لو حدث لكان أمرًا غريبًا جدًّا... ولذلك فإنه جعل جسده يخضع لعادات وقوانين الطبيعة البشريَّة][٨].

(١) عظة ٤٥: ٩. (٢) عظة ٣٨ عن الظهور الإلهي. (٣) «شرح إنجيل متى»، ١: ١ – عظة ٢: ٣. (٤) «شرح إنجيل يوحنا»، ١: ١٤، العظة ١١. (٥) «شرح إنجيل يوحنا»، ١٤: ٢٠. (٦) «تفسير إنجيل لوقا»، ٢: ٨-١٨، عظة رقم ٢. (٧) «شرح تجسُّد الابن الوحيد»: ٢٨. (٨) «تفسير إنجيل لوقا»، ٢: ٥٢، عظة رقم ٥.

المولودُ مِنَ الجسدِ، والمولودُ مِنَ الرُّوحِ:

كان إلهامُ الله عجيبًا وفريدًا **للقديس يوحنا الإنجيلي والرسول**، لأنَّهُ حينما **كَتَبَ إنجيله** كَشَفَ له **الله** بِرُوحِهِ **القُدُّوس**: أنَّ **للإنسان المسيحي** ولادتين: ولادة من الجسد، وولادة من الرُّوح. ولقد أوضح **القديس يوحنا** من بداية **إنجيله** أنَّهُ: «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ. هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ. فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ» (يو ١: ١-٤).

لقد بَدَأت الخِلْقة **بكلمة الله** حينما: «قَالَ اللهُ: ''لِيَكُنْ نُورٌ'' فَكَانَ نُورٌ» (تك ١: ٣). ثم توالت خِلْقة الحياة في ستة أيام، أبدع فيها **الله** الكون كُلَّهُ، وفي سادس يوم خَلَق **الله الإنسانَ تاجَ الخليقة** كلِّها عندما قال: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا... فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ» (تك ١: ٢٦،٢٧).

✝ وفي هذا يقول القديس كيرلُّس الكبير:

[في البَدْءِ قبلَ كُلِّ شيءٍ آخر، صَنَع الله السموات والأرض بأسلوبه الذي يفوق كُلَّ فكرٍ من خلال الابن قوَّته الخاصة الكُلِّيَّة القُدرة. وبعمله الدائم، من خلال الكلمة، جَمَع المياه إلى مكانٍ واحد، وكَسَى الأرض بالأعشاب والأشجار، وأقام الشمس لحُكْم النهار والقمر لحُكْم الليل، وَرَصَّع السماء كلَّها بالنجوم. وإذ هو الحياة في جوهرها الطبيعي، قد كوَّن الأسماك والطيور والوحوش والقطعان. وإذ سُرَّ الله بما أبدعه، فقد تحوَّل نحو الغرض من كُلِّ خِلْقته الذي هو الإنسان. فالغاية هي أنَّهُ يلزم أنْ تمتلئ الأرض بأولئك الذين يمكنهم أنْ يعرفوا كيف يعطوهُ المجد لله، ومن خلال المخلوقات يتطلَّعون إلى مجد خالقهم. وهكذا فقد كان من الضروري أنْ يخلقَ الله كائنًا عاقلًا.

فأيُّ خليقة أخرى أبدعها الله كانت مُجرَّد كلمة، أمَّا تكوين هذا المخلوق فقد تصوَّره الله منذ القديم، فلم يكن مُلائمًا له أنْ يكون مُجرَّد مُمثِّلٍ للمجدِ الفائق، مخلوقٍ شديد الشَّبَه بالله فحسب، بل ومصنوع مثل باقي المخلوقات. وعلى ذلك، فقد كرَّم الله هذه الخليقة بقيامِهِ بتدبيرٍ مُتقن وعملٍ شخصي. وهكذا صاغ صورة تحمل مجده وكرامته، وجعله كائنًا عاقلًا ناطقًا حتى يمكنه أنْ يترفَّع فوق جوهره الطبيعي؛ وفي الحال طَبَعَ عليه الرُّوح المُحيي الواهب لعدم الفساد. ثم أَنْعَم الله على الإنسان بالفردوس والمسرَّة والقدرة والسلطان على كلِّ شيء على الأرض...

(فهذه كلها) أخضعها الله جميعًا بقوانين طبيعتها لكي تهاب الإنسان كما كان ينبغي عليها أنْ تكون. وهكذا كان الإنسان هو التعبير والطابع المُعبِّر للمجد الأَسنى، وأيقونة السلطة الإلهيَّة على الأرض].

«كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ»:

نعود إلى ما قاله **القديس يوحنا الإنجيلي والرسول** لنسمع ما يقوله بعد ذلك عن تجسُّد **الله الكلمة** ومجيئه إلى العالم:

✝ «كَانَ النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِياً إِلَى الْعَالَمِ. كَانَ فِي الْعَالَمِ، وَكُوِّنَ الْعَالَمُ بِهِ، وَلَمْ يَعْرِفْهُ الْعَالَمُ. إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ. وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَاناً أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ بِاسْمِهِ. الَّذِينَ وُلِدُوا لَيْسَ مِنْ دَمٍ، وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ جَسَدٍ وَلاَ مِنْ مَشِيئَةِ رَجُلٍ، بَلْ مِنَ اللهِ» (يو ١: ٩-١٣).

وهنا نعود إلى **المولودين حسب الجسد والمولودين حسب الرُّوح**. فالذين وُلدوا ليس من دم ولا من مشيئة جسد ولا من مشيئة رجل، بل من الله (وُلدوا)، أي الذين وُلدوا ميلادًا روحيًّا؛ لا علاقة لهم بالميلاد الجسدي الذي يتعلَّق بالولادة من رجلٍ وامرأة. فالولادة من فوق، الولادة من الماء والرُّوح، هي ولادة من الله؛ حيث **الله هو الأب الجديد** لخليقةٍ جديدة روحيَّة، ينال سلطانها واستحقاقها كُل مَن يؤمن **بالمسيح** ويقبله فاديًا ومُخلِّصًا له، كما قال **الرَّبُّ يسوع**: «لاَ تَدْعُوا لَكُمْ أَباً عَلَى الأَرْضِ، لأَنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ» (مت ٢٣: ٩).

وهذا هو أيضًا ما ختَمَ به **القديس يوحنا إنجيله** قائلًا:

✝ «وَأَمَّا هذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ (**إنجيل يوحنا كله**) لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ، وَلِكَيْ تَكُونَ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةٌ بِاسْمِهِ (**ميلادًا جديدًا**)» (يو ٢٠: ٣١).

كما يقول **القديس يوحنا في رسالته الأولى**:

✝ «كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ» (١يو ٥: ١).

✝ «انْظُرُوا أَيَّةَ مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلاَدَ اللهِ!... أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، الآنَ نَحْنُ أَوْلاَدُ اللهِ» (١يو ٣: ١،٢).

✝ «أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لِنُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضاً، لأَنَّ الْمَحَبَّةَ هِيَ مِنَ اللهِ، وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ وَيَعْرِفُ اللهَ» (١يو ٤: ٧).

✝ «نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَنْ وُلِدَ مِنَ اللهِ لاَ يُخْطِئُ، بَلِ الْمَوْلُودُ مِنَ اللهِ يَحْفَظُ نَفْسَهُ، وَالشِّرِّيرُ لاَ يَمَسُّهُ» (١يو ٥: ١٨).

وعندنا آية أخرى جاءت **بالرُّوح** على لسان **بطرس الرسول**، توضِّح أنَّ معرفة **المسيح** الكاملة تُعطي سُلطانًا، حسب قدرة الله، ليصير من يقبلها «شريكًا في الطبيعة الإلهيَّة»:

✝ «كَمَا أَنَّ قُدْرَتَهُ الإِلهِيَّةَ قَدْ وَهَبَتْ لَنَا كُلَّ مَا هُوَ لِلْحَيَاةِ وَالتَّقْوَى، بِمَعْرِفَةِ الَّذِي دَعَانَا بِالْمَجْدِ وَالْفَضِيلَةِ، اللَّذَيْنِ بِهِمَا قَدْ وَهَبَ لَنَا الْمَوَاعِيدَ الْعُظْمَى وَالثَّمِينَةَ، لِكَيْ تَصِيرُوا بِهَا شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلهِيَّةِ» (٢بط ١: ٣،٤).

الولادة من فوق، والولادة من الماء والروح:

جاء **نيقوديموس مُعلِّم الناموس للرَّبِّ يسوع** ليلًا مُتخفِّيًا، لكي يمتدح **الرَّبَّ يسوع**، قائلًا: «يَا مُعَلِّمُ نَعْلَمُ أَنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مِنَ اللهِ مُعَلِّماً، لأَنْ لَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَعْمَلَ هذِهِ الآيَاتِ الَّتِي أَنْتَ تَعْمَلُ إِنْ لَمْ يَكُنِ اللهُ مَعَهُ». **أجابه يسوع وقال له**: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللهِ». قال له نيقوديموس (**مُتعجِّبًا**): «كَيْفَ يُمْكِنُ الإِنْسَانَ أَنْ يُولَدَ وَهُوَ شَيْخٌ؟ أَلَعَلَّهُ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ بَطْنَ أُمِّهِ ثَانِيَةً وَيُولَدَ؟». **فأجابه يسوع قائلًا**: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ. اَلْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ، وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ هُوَ رُوحٌ» (يو٣: ١-٦). **وأكمل الرَّبُّ قائلًا**: «لاَ تَتَعَجَّبْ أَنِّي قُلْتُ لَكَ: يَنْبَغِي أَنْ تُولَدُوا مِنْ فَوْقُ. اَلرِّيحُ تَهُبُّ حَيْثُ تَشَاءُ، وَتَسْمَعُ صَوْتَهَا، لكِنَّكَ لاَ تَعْلَمُ مِنْ أَيْنَ تَأْتِي وَلاَ إِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ. هكَذَا كُلُّ مَنْ وُلِدَ مِنَ الرُّوحِ» (يو ٣: ٧،٨).

ألا يذكُر نيقوديموس معلِّم الناموس قول إرميا النبيّ:

✝ «هَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَقْطَعُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ وَمَعَ بَيْتِ يَهُوذَا عَهْداً جَدِيداً. لَيْسَ كَالْعَهْدِ الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ يَوْمَ أَمْسَكْتُهُمْ بِيَدِهِمْ لأُخْرِجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، حِينَ نَقَضُوا عَهْدِي فَرَفَضْتُهُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ. بَلْ هذَا هُوَ الْعَهْدُ الَّذِي أَقْطَعُهُ مَعَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ بَعْدَ تِلْكَ الأَيَّامِ، يَقُولُ الرَّبُّ: أَجْعَلُ شَرِيعَتِي فِي دَاخِلِهِمْ وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهاً وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْباً. وَلاَ يُعَلِّمُونَ بَعْدُ كُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ، قَائِلِينَ: اعْرِفُوا الرَّبَّ، لأَنَّهُمْ كُلَّهُمْ سَيَعْرِفُونَنِي مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كَبِيرِهِمْ، يَقُولُ الرَّبُّ، لأَنِّي أَصْفَحُ عَنْ إِثْمِهِمْ، وَلاَ أَذْكُرُ خَطِيَّتَهُمْ بَعْدُ» (إر ٣١: ٣١-٣٤).

ثم ألم يتكلَّم **حزقيال النبيّ** مُعلِّمًا وشارحًا عمَّا سيتم بالحرف الواحد في أيام المسيَّا أيضًا – مثلما قال إرميا النبي — الذي وقف أمامه **نيقوديموس** ولم يتذكَّر كلمة واحدة مما قاله **حزقيال النبيّ**، إذ قال:

✝ «هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ:... وَأُعْطِيهِمْ قَلْباً وَاحِداً، وَأَجْعَلُ فِي دَاخِلِكُمْ رُوحاً جَدِيداً، وَأَنْزِعُ قَلْبَ الْحَجَرِ مِنْ لَحْمِهِمْ وَأُعْطِيهِمْ قَلْبَ لَحْمٍ» (حز ١١: ١٧،١٩).

ثم ها هوذا **حزقيال النبيّ** أيضًا يجمع عمل الماء مع عمل الرُّوح باعتبار ذلك سِرَّ قوَّة التجديد الذي سيُرسله **الله** لهم على **يدَي المسيَّا**: «وَأَرُشُّ عَلَيْكُمْ مَاءً طَاهِراً فَتُطَهَّرُونَ. مِنْ كُلِّ نَجَاسَتِكُمْ وَمِنْ كُلِّ أَصْنَامِكُمْ أُطَهِّرُكُمْ. وَأُعْطِيكُمْ قَلْباً جَدِيداً، وَأَجْعَلُ رُوحاً جَدِيدَةً فِي دَاخِلِكُمْ» (حز ٣٦: ٢٥،٢٦)!!

التوبة والمعمودية لمغفرة الخطايا وحلول الرُّوح القُدُس:

في يوم الخمسين، حلَّ **الرُّوح القُدُس** على الرسل المجتمعين معًا بنفسٍ واحدة:

✝ «وَصَارَ بَغْتَةً مِنَ السَّمَاءِ صَوْتٌ كَمَا مِنْ هُبُوبِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ وَمَلأَ كُلَّ الْبَيْتِ حَيْثُ كَانُوا جَالِسِينَ، وَظَهَرَتْ لَهُمْ أَلْسِنَةٌ مُنْقَسِمَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ. وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَابْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ أُخَرَى كَمَا أَعْطَاهُمُ الرُّوحُ أَنْ يَنْطِقُوا» (أع ٢: ١-٤).

فوقف **بطرس** الرسول مع الأحد عشر رسولًا، وبدأ يشرح للجموع ما رأوه، مُستشهِدًا بقول **يوئيل النبيّ**، وشاهدًا على قيامة **المسيح** من بين الأموات، بقوله لهم:

✝ «فَيَسُوعُ هذَا أَقَامَهُ اللهُ، وَنَحْنُ جَمِيعاً شُهُودٌ لِذلِكَ. وَإِذِ ارْتَفَعَ بِيَمِينِ اللهِ، وَأَخَذَ مَوْعِدَ الرُّوحِ الْقُدُسِ مِنَ الآبِ، سَكَبَ هذَا الَّذِي أَنْتُمُ الآنَ تُبْصِرُونَهُ وَتَسْمَعُونَهُ... فَلْيَعْلَمْ يَقِيناً جَمِيعُ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ أَنَّ اللهَ جَعَلَ يَسُوعَ هذَا، الَّذِي صَلَبْتُمُوهُ أَنْتُمْ، **رَبًّا وَمَسِيحاً**» (أع ٢: ٣٢-٣٦).

وكان تأثير كلام بطرس الرسول، أنَّهم:

✝ «لَمَّا سَمِعُوا نُخِسُوا فِي قُلُوبِهِمْ، وَقَالُوا لِبُطْرُسَ وَلِسَائِرِ الرُّسُلِ: «مَاذَا نَصْنَعُ أَيُّهَا الرِّجَالُ الإِخْوَةُ؟» فَقَالَ لَهُمْ بُطْرُسُ: «تُوبُوا وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِغُفْرَانِ الْخَطَايَا، فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ. لأَنَّ الْمَوْعِدَ هُوَ لَكُمْ وَلأَوْلاَدِكُمْ وَلِكُلِّ الَّذِينَ عَلَى بُعْدٍ، كُلِّ مَنْ يَدْعُوهُ الرَّبُّ إِلهُنَا»... فَقَبِلُوا كَلاَمَهُ بِفَرَحٍ، وَاعْتَمَدُوا، وَانْضَمَّ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ نَحْوُ ثَلاَثَةِ آلاَفِ نَفْسٍ» (أع ٢: ٣٧-٣٩، ٤١).

✝ **وفي هذا الصدد يقول القديس غريغوريوس النزينزي:**

[من **الرُّوح القُدُس** قد نلنا الميلاد الجديد (يو٣: ٥)، وبالميلاد الجديد نلنا الخليقة الجديدة، وبالخليقة الجديدة نلنا معرفة فائقة لسموِّ الذي خلقنا من جديد...

الرُّوح القُدُس هو الرُّوح الخالق (مز١٠٣: ٣٠) ؛ بل هو الذي يُجدِّد الخِلْقة بالمعمودية وبالقيامة. هو الرُّوح الذي يعرف كُلَّ شيء (١كو ٢: ١٠)، وهو الذي يُعلِّمنا كُلَّ شيء (يو ١٤: ٢٦). هو الذي يهُبُّ حيث يشاء (يو٣: ٨)، وهو الذي يُرشدنا (إلى جميع الحقّ) (يو ١٦: ١٣). هو «روح الإعلان» (أف١: ١٧)، وهو الذي يُنير (أف ١: ١٨)، ويُحيي (يو٦: ٦٣)؛ بل وهو بذاته النور والحياة. هو الذي يجعلنا هيكلًا لله (١كو٣: ١٦)؛ بل ويؤلِّهنا أيضًا. هو الذي من بعد المعمودية، نطلبه بإلحاح (لو١١: ١٣). هو الذي يصنع كُلَّ هذه كإله، والذي ينقسم كألسنة من نارٍ (أع ٢: ٣)، ويوزِّع المواهب (١كو ١٢: ١١)].

تشكّل الدينونة الموضوع الرئيسي لهذا الأحد المعروف بـ «**مرفع اللحم**». ترتبط الدينونة، كما تُظهر لنا التلاوة الإنجيليّة لليوم، بمجيء **الرَّبِّ** الثاني المجيد الذي سيتم في اليوم الأخير، حيث يفصل **الرَّبّ** الأبرار عن الخطأة فيقيم الأوّلين عن يمينه والآخرين عن يساره، «فَيَمْضِي هؤُلاَءِ إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ وَالأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ» (متى ٢٥: ٤٦).

الكنيسة لم تعش الحالة الأخرويّة وكأنها حالة مستقبليّة فقط لا علاقة لها بالحاضر، بل على العكس عاشت الكنيسة هذه الحالة كواقع مُدرَك من خلال الحياة في **المسيح والرُّوح القُدُس**. المجيء الثاني، مع حصوله في اليوم الأخير انما هو مدشَّن في الأسرار والعبادات في الكنيسة حيث نجد أنَّ **القديس يوحنا الذهبي الفم** يتذكر في قداسه أحداثًا جرت في الماضي مع حدث (وهو المجيء الثاني) من المفترض أنْ يتمَّ في المستقبل: «**ونحن بما أنّنا متذكرون هذه الوصيَّة وكُلُّ الأمور التي جرت من أجلنا، الصليب والقبر والقيامة ذات الثلاثة الأيام، والصعود إلى السماوات، والجلوس عن الميامن، والمجيء الثاني المجيد أيضًا**».

في وجودها التاريخي تنتظر الكنيسة مجيء **الرَّبِّ** الثاني بقوة وعلانيَّة، ذلك أنَّ هذا المجيء سيكون بمثابة تجلّي الخليقة كلها وإعلان الملكوت المرئي نهائيًّا. المجيء الثاني الذي دُشِّن سوف يظهر علانيَّة في اليوم الأخير، ليس ثمة تناقض بين هذين التأكيدين.

تُرافِق إذًا هذا التجلّي الأخير دينونة، المقياس فيها هو **المسيح**، ذلك أنه هو **الحقّ**، وتاليًا هو **الديّان**: «لأَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنَّنَا جَمِيعًا نُظْهَرُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ، لِيَنَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مَا كَانَ بِالْجَسَدِ بِحَسَبِ مَا صَنَعَ، خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا.» (٢كور٥: ١٠). **كلٌّ يُدان بحسب أعماله**، لكن الدينونة مرتبطة أيضًا بالإيمان **بيسوع المسيح**، هذا ما يبشر به **اللاهوتي يوحنا في إنجيله**: «لأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ، بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ. اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُدَانُ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ، لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللهِ الْوَحِيدِ.» (يو٣: ١٧-١٨). وفي مكان آخر يؤكِّد **المسيح** أنَّ: «مَنْ رَذَلَنِي وَلَمْ يَقْبَلْ كَلاَمِي فَلَهُ مَنْ يَدِينُهُ. اَلْكَلاَمُ الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ هُوَ يَدِينُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ» (يو١٢: ٤٨).

المسيح قد أتى ليخلِّص العالم **لا ليدينه**، الإنسان هو الذي يدين نفسه **برذله** تعاليم **المسيح** وبابتعاده عنه. الدينونة ليست حدثًا مؤجَّلًا، بل هي حاصلة الآن في هذه الحياة، إذ إنَّ صيغة الماضي المستعمَلة في **إنجيل يوحنا** «**قَدْ دِينَ**» تعني أنها قد **تمَّت**. كما أنَّ الخلاص ليس مشروعًا مُؤجَّلًا، بل هو يتمّ فعلًا الآن إذا أراد الإنسان، ذلك انَّ **الإنجيلي نفسه** يقول في موضع آخر: «اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلاَمِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ، بَلْ قَدِ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ.» (يو ٥: ٢٤).

ليس ثمة عقيدة كنسيَّة حول الحياة بعد الموت، الأخرويَّة متمحورة عندها حول **المسيح**، الذي عندما يظهر سوف يُظهر معه الكُلّ، لذلك يقول **بولس الرسول الإلهي**: «لأَنَّكُمْ قَدْ مُتُّمْ وَحَيَاتُكُمْ مُسْتَتِرَةٌ مَعَ الْمَسِيحِ فِي اللهِ. مَتَى أُظْهِرَ الْمَسِيحُ حَيَاتُنَا، فَحِينَئِذٍ تُظْهَرُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ فِي الْمَجْدِ.» (كولُ٣: ٣-٤). الكنيسة تتألَّف إذًا من أحياء وأموات **فقدَ** الموت عليهم كُلَّ سلطان، لأنهم راقدون «**في المسيح**».

يبقى سؤال حول اعتقاد بعض الآباء، مثل **باسيليوس وغريغوريوس النزينزي وغريغوريوس النيصصي وقبلهم اوريجانس**، بأن الناس كلهم سيخلصون ويدخلون في حياة الله، مستندين الى قول بولس الرسول: «وَمَتَى أُخْضِعَ لَهُ الْكُلُّ، فَحِينَئِذٍ الابْنُ نَفْسُهُ أَيْضًا سَيَخْضَعُ لِلَّذِي أَخْضَعَ لَهُ الْكُلَّ، كَيْ يَكُونَ اللهُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ.» (١كور١٥: ٢٨). حجة هؤلاء الآباء الرئيسيَّة هي انَّ رحمة **الله** أعظم من خطيئة الانسان الذي خلّصه **المسيح** وافتداه.

يقف **القديس مكسيموس المعترف اللاهوتيّ والناسك العظيم** ضدَّ هذا «**الخلاص الكلّي**»، معتبرًا أنَّ الانسان ليس مُكْرَهًا على الاتحاد بالله، فهو حرٌّ وحرِّيته «التي هي **صورة الله** فيه» تعطيه الامكانيَّة بأن **يرفض الله** وبأن يذهب الى **الجحيم**.

« **الخلاص الكلّي في اليوم الأخير**» ليس عقيدة، إنَّما هو، كما يقول لاهوتي ارثوذكسي معاصر، أمرٌ «يجب ان يكون موضوع صلاتنا، ومحبتنا العاملة، ورجاءَنا».

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

أسقف المدن الخمس

سوتوس خوندروبولوس

الجزء الرَّابع – الفصل الأوَّل

كان عليه أنْ يحفظَ هذه النُفوس من صدمات عواصف الحياة التي تُصيبها بالغثيان، وألَّا يَدَع الخوف يُسَيطر عليها، وألَا يترك مركبها يتأرجح في جميع الاتجاهات. تجَمَّعت حول **الضريرة كساني**، المتلئة بالإيمانِ والطَّاعَةِ، حوالي خمس عشرة راهبة ومبتدئة خلال الصيف، واصبحت تقوم بمهمَّة الأُم الرئيسة. وبعد ذلك سيقوم **نكتاريوس** بإلباس بعض هؤلاء الفتيات **الاسكيم الكبير**، ومن بينهُنَّ الرَّاهبات القديمات من الدير المُهَدَّم: **أناستاسيًّا، ومادلين، والأصغر سِنًّا: حنَّة وأنوقتيا وأليصابات وأوفيميًّا وفبرونية وخريستوذولا وبلاچيًّا وخريستوفورا وثيودوسيًّا** وغيرُهنَّ. وكان هَمُّ **نكتاريوس** الأوَّل توجيهَهُنَّ الرُّوحي، ووضع نظام يحدِّد كيفيَّة الصلاة والعمل.

فَتَذَكَّرَ أوَّل مُعتِق للشعبِ اليوناني: **قزما الايتولي**: ذلك الرجُل ذو النفس الكبيرة، الشهيد في سبيل شعبه، الذي كان ينادي في عَصرِهِ بهذه الكلمات: «**مدارس، تعليم، وأيضًا مدارس**». والذي كان يقول: « **يجب أن يقرأ اليونانيُّون المسعبَدون الصفحات المستوحاةِ من الله. يجب أن يتعلَّموا، وأن يفهموا من هو الله، ومن هُم أنفسهم**». وكثيرًا ما كان **نكتاريوس** يردِّد: «**قزما العظيم**».

فكان عليه إذن أنْ يحضِّر إحدى غُرف الدير لتكون مدرسة للفتيات الأميِّات واللواتي لم يُحَصِّلْنَ غير تعليمٍ بسيط!

هكذا إذن! لقد اعادته الظروف ومسيرة الزمان إلى مهنته القديمة، كما في وقتِ بدايته عندما وصَلَ في صِباه إلى **جزيرة خيوس**: لقد عادَ مُدَرِّسًا في شيخوخته!

فاختار إحدى غُرفتيهِ، وأحضَرَ العمَّال لكي يُبَيِّضُوا جدرانها بالكلس ويرتبوها. ثمَّ علَّقَ على الجدران بعض الخرائط الجغرافيَّة والأيقونات. فأصبحت المدرسة جاهزة!

وفي الوقتِ نفسه بدأ بتشييد مسكن له خارج الدير القديم. لقد كانت الغرف المُشَيَّدة بأُولى هبات الأرملة غير صالحة للسكن في الشتاء: فإنَّ ضيق مساحتها وانخفاضها يجعلانها كثيرة الرطوبة، لدرجةٍ أنَّها تُشكِّل خطرًا على صحَّته، وكان يخشى أنْ يبقى العمل ناقصًا.

فاستخدَمَ جميع مُدَّخراته، وكلّ الأموال التي كان يرسلها إليه معارفه الأثرياء من **أثينا والبيريه** من أجلِ هذا البِناء. وهو الذي **لم يعمل** في حياته شيئًا لنفسه، لكنه يَجِد الآن من الضرورة تحضير غرفة أو غرفتين صالحتين للسَكن من الوجهة الإنسانيَّة على الأقل بالنسبة للذي سوف يَخلفه ويتابع عمله من بعده. فخصَّصَ الجزء الأكبر من أمواله لهذه الغاية. وانقضت المرحلة الأولى من إقامته في الدير في حركة بناء محمومة ممزوجة بالفقر والحرمان.

القديس نكتاريوس اسقف المدن الخمس

وقد كتبَ إلى معاونه الأمين ومدير أعماله **كوستي ساكوبولوس** في **٥ تموز** (**لقد انتهى بهما الأمر بالطبعِ إلى الانفصال، لكنهما بقيا مجتَمِعَيْنِ بالفكر**):

«عزيزي قسطنطين، أرسِل إلَيَّ البُنّ، و ٢ كيلو ونصف من الجلد لصنع خفاف نسائيَّة؛ يلزمنا إذن جلد من النوع الرقيق جدًّا، أنا بخير والحمدُ لله. إنِّي أبني البيت خارج الدير، وأرجو أن ينتهي العمل فيه خلال شهر».

وتذَكَّرَ **نكتاريوس**، إلى جانب مشاغله كمُدَرِّس، جميع تفاصيل مهنة الإسكافي التي تعلَّمها عندما كان راهبًا في **خيوس**.

وكانت معظم الراهبات ينتعلن خفافًا مهترئة كليًّا، فتظهر منها أصابع أقدامهنَّ. فاختار **نكتاريوس** حُجرة صغيرة، وحوَّلها إلى مشغل إسكافي. ثمَّ ابتاعَ من المدينة الأدوات اللازمة من مخارز ومطارق ومقصات وقوالب ... وَبَدَأَ يَرْتُقُ الخِفَافَ المُمَزَّقَةَ. وفيما بعد سوف يُعلِّم الراهبات هذه المهنة حتى يستَطِعنَ تأمين حاجاتهنَّ الأوليَّة.

وشملت المرحلة الأولى في تنظيم حياة الدير: النِّظَامُ الدَّاخِلِيُّ، وَالمَدْرَسَةُ وَالسِّكَافَةُ، وَتَشْيِيدُ البَيْتِ، وَالإِرْشَادُ الرُّوحِيُّ الأَوَّلِيُّ.

وقد أحبَّ عمله كثيرًا، وكان إحساسه يقول له بأنَّه يتحول إلى مهندس صغير. وغالبًا ما كان يمضي الليل ساهرًا رغم تعبه، للدراسة والكتابة. كان كالولد المطيع الذي لا يعرف أنْ يرفضَ شيئًا، ولا حتى لأشخاص تافهين ودون شأن. ولا هدف لهم في الحياة.

من أقوال القديس نكتاريوس أسقف المدن الخمس

«أيَّتُها الأرثوذكسيَّة، تعصف بكِ آلافُ الأرياح، وتحاربكِ آلافُ القوات المظلمة، وتثور، تريد اقتلاعكِ من العالم، وتكافح لانتزاعكِ من قلوب الناس. أرادوا أن يجعلوا منكِ أملًا مفقودًا، متحفًا وماضيًا مأساويًّا، وتاريخًا مَرَّ عليه الزمن وانتهى. إلَّا أنَّ اللهَ القدير، الثالوث القُدُّوس المُحسن الكليّ الوداعة والحكمة، هو الذي يسيطر على هذه الفوضى، ويرميكِ في زاويةٍ أبعدَ ما يمكن عن التوقُّع، ويغطِّيكِ كوردةٍ تحت صخرة. إنَّه يحافظ عليكِ في نفوس أبسط الناس، الذين ليس لهم أية سلطة أو معرفة دنيويَّة. وها أنتِ باقية حتى اليوم. ها أنتِ لا تزالين حيَّةً موجودة، تُغذِّين الأجيال الناشئة، وتُفلحين كلَّ بقعةٍ جيِّدة من الأرض، وتوزعين قُوَّةً وحياةً وسماءً ونورًا، وتفتحين للناس أبوابَ الأبديَّة.».

المقدمة: طريق الكمال:

من رسالة القديس باسيليوس إلى صديقه إيوستاثيوس في سباستيا:

أنا أضعتُ وقتًا كثيرًا، وكرَّستُ معظم أيام شبابي في اقتناءِ العلوم الأرضيَّة، التي تظهر لي الآن أنها **مثل حماقة أمام الله**. وفجأة في يومٍ استيقظت وكأنِّي كنتُ في نومٍ عميقٍ، ورأيتُ النور الشديد للحقيقة السماوية، وأدركت أنَّ كُلَّ الحكمة التي تعلمتها من معلمي هذا العالم **كانت باطلة**، فبكيتُ بدموعٍ كثيرةٍ لأسفي على حياتي، وصلَّيتُ ليعطيني الله بعض الإرشادات التي توصلني إلى حياة الإيمان أوَّل كُلِّ شيء فعلته لأصلح مساري القديم في الحياة هو: **إنَّني أختلط بالفقراء، وأمكث أقرأ في الكتاب المقدس**. فكَّرتُ أنَّ أفضلَ طريقة للبدء في طريق الكمال هو أنْ **أعتني باحتياجات هؤلاء الأخوة والأخوات المعدومين**، وأن أشتري أطعمه وأوزعها عليهم، وَنَحَّيْتُ جَانِبًا كُلَّ مُتَعَلِّقَاتِ وَمَشَاكِلَ هَذَا الْعَالَمِ بَعِيدًا عَنْ عَقْلِي بِالْكُلِّيَّةِ، وبحثتُ عن الذين يشاركونني هذا العمل ويسيرون معي في هذا الطريق، حتى وجدتُ مَن أُبحر معه في محيط هذا العالم. ووجدت كثيرين **في الإسكندرية ومصر وآخرين في فلسطين وسوريا وميسوبوتاميًّا (بلاد ما بين النهرين)**، وتأثرت كثيرًا بطريقة اعتدالهم في تناول الطعام، ومثابرتهم في الأعمال، وطريقتهم في أنْ **يقاوموا النوم** بالصلاة والتسبيح. حقًّا أنَّهم يبدون كأنهم قادرون على مقاومة أيِّ قُوَّة في الطبيعة، ودائمًا يعطون لأرواحهم السهر بالكمال حتى ولو كانوا يعانون **من الجوع والعطش والبرد والعُري**. لم يستسلموا لأهواءِ أجسادهم أو حتى يعطوها أي اهتمام، وكأنهم يعيشون في عالم آخر، ويظهرون بأعمالهم أنهم حقًّا غرباء عن هذه الأرض وموطنهم الحقيقي هو **المملكة السماويَّة**. حياة هؤلاء الناس ملأتني بالسعادة والتعجُّب، لأنهم أظهروا أنهم حاملون في داخلهم **جسد المسيح**، ولهذا قرَّرت، طالما أنا أستطيع، أنْ أحاوَل اتِّباع **مِثَال حياتهم**.

المقالة الأولى : الفردوس

أولا: جمال الفردوس:

« وَغَرَسَ الرَّبُّ الإِلَهُ جَنَّةً فِي عَدْنٍ شَرْقاً وَوَضَعَ هُنَاكَ آدَمَ الَّذِي جَبَلَهُ» (تك ٢: ٨). ليتنا نفكِّر الآن يا أصدقائي في طبيعة الفردوس، الذي يُعتبر منحة من الله، هذا **الفردوس** الذي يعكس أسلوب وإرادة **الخالق العظيم**، فقد كُتب: « وَأَنْبَتَ الرَّبُّ الإِلَهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةٍ » (تك ٢: ٩). لقد أراد الله أنْ يكون الإنسان هو وحده مُتَفَوِّقًا على كُلِّ شكل من أشكال الحياة الأخرى، والمكان الذي هيَّأَهُ الله **للإنسان**، والذي **خَلَقَ فيه كُلَّ شيء آخر من أجله**، أراد الله أنْ يجعله بارع الجمال،أرضًا مرتفعة لا يمكن أن يُحجب نورها، فكانت ذات جمال رائع في أمان تام، وكان بَهَاؤُهُ يَتَأَلَّقُ بِبَرِيقٍ يَفُوقُ كُلَّ شَيْءٍ، وَيَنْتَشِرُ شُعَاعُ ضُوءِهِ مِثْلَ نَجْمٍ سَاطِعٍ، فالمكان الذي غرس الله الفردوس فيه لا توجد فيه رياح عنيفة أو طقس موسمي، كما حافظ فيه على اتزان الحرارة، فلا تكون هناك زوابع ملتهبة أو ريح ثلجيَّة أو عواصف رعديَّة عنيفة، فلا صيف حار، ولا خريف جاف، **بل تناسب تام بين كُلِّ الفصول**، يتعاقب كُلَّ فصل وراء الآخر بهدوء، وكُلُّ فصل له عطاياه المفرحة، وكانت الأرض مخصبة غنيَّة تفيض لبنًا وعسلًا، وتُنتج أثمارًا يانعة مختلفة، ومحاطة بمياه عذبة شفَّافة جميلة، تُعطي سرورًا للعيون، وتمنح الحياة بالحقيقة «كَانَ نَهْرٌ يَخْرُجُ مِنْ عَدْنٍ لِيَسْقِيَ الْجَنَّةَ» (تك ٢: ١٠).

ثانيا: قصد الله من خلقة الإنسان:

«وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ تُرَاباً مِنَ الأَرْضِ وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْساً حَيَّةً. وَغَرَسَ الرَّبُّ الإِلَهُ جَنَّةً فِي عَدْنٍ شَرْقاً وَوَضَعَ هُنَاكَ آدَمَ الَّذِي جَبَلَهُ.» (تك ٢: ٧-٨). لقد خلق الله **آدم**، ثم في نفس اللحظة **خلق الفردوس**، وأدخل **آدم** إليه، حتى لا يخلق البشريَّة في **عَوَز وفقر**، لقد خلق الكمال منذُ البداية، ثم أدخل الإنسان فيه، حتى يعرف الإنسان الفرق بين الحياة في الخارج والحياة التي تحدث في **داخل الفردوس**، فيُدرك تفوُّق **جمال الفردوس**، **وعاقبة السقوط والطرد منه**.«وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا» (تك٢:١٥)، لابُدَّ أنْ نفكِّر في كلمات هذه الآية، ونُقارنها بكلمات الرب **يسوع المسيح** له المجد **لتلاميذه القديسين**: «أَنَا الْكَرْمَةُ وَأَنْتُمُ الأَغْصَانُ» (يو١٥:٥) وتَعني هذه الآية أنَّهم زُرعوا بيد الله، فينبغي أنْ نبدأ في النُمُوّ في بيت **الرَّبِّ** ونمتلئ بالثمار في بيت **إلهنا** « مَغْرُوسِينَ

فِي بَيْتِ الرَّبِّ. وفِي دِيَارِ إِلهَنَا زَاهِرين» (مز٩١: ١٣)، قال أيضًا **داود النبيّ**: « طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي لَمْ يَسْلُكْ فِي مَشُورَةِ الأَشْرَارِ» (مز١: ١) « فَيَكُونُ كَشَجَرَةٍ مَغْرُوسَةٍ عِنْدَ مَجَارِي الْمِيَاهِ الَّتِي تُعْطِي ثَمَرَهَا فِي أَوَانِهِ وَوَرَقُهَا لاَ يَذْبُلُ.» (مز١: ٣).

لَقَدْ كَوَّن **الله** الْمَكَانَ الَّذِي يُلاَئِمُ اسْتِقْبَالَ الْبَشَرِيَّةِ، وَغَرَسَ فِيهِ كُلَّ نَوْعٍ مِنَ الْأَشْجَارِ الْجَمِيلَةِ، لِتُفَرِّحَ قَلْبَ الْإِنسَانِ. كَيْ أَضَعَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ جَمَالَ مَسْكَنِكَ الَّذِي طُرِدْتَ مِنْهُ، فَتَشْعُرُ لَيْسَ بِالْحُزْنِ فَقَطْ، بَلْ بِالْحَنِينِ إِلَى كُلِّ شَيْءٍ فَقَدْتَهُ، فَتَتَذَكَّرُ الْجَمَالَ وَالسَّعَادَةَ الَّتِي كَانَتْ هُنَاكَ،، التي **لَمْ تَخْتَلِطْ بِالْأَلَمِ وَالتَّعَبِ**. أمَّا الآن **في أرض الشقاء التي طُردنا إليها**، فإنَّ الزهور تخفي داخلها أشواكًا، فتشعر بالسعادة مع الألم، وذلك يرينا أنَّ السعادة في هذا العالم **دائمًا ممزوجة بالألم**، فلا توجد سعادة كاملة على الأرض، لأنها سرعان ما تشتبك مع الأحزان، الزَّواج مع الترمُّل، جلب الأطفال مع المتاعب، الولادة مع الموت، الشرف العظيم مع العار الجسيم، الصحة مع المرض. عندما أنظر إلى الزهور أحزن، لأنَّ كُلَّ وقت أرى فيه زهرة أتذكَّر خطيتنا التي سببت فساد الأرض حتى أنبتت «شَوْكًا وَحَسَكًا» (تك٣: ١٨)، بل إنَّ الزهرة ينتهي جمالها في وقت قصير جدًّا، فتتركنا ونحن مازلنا نشتاق إليها، ومن اللحظة التي نقطفها فيها تبدأ تموت بين أيدينا. ولكن **في الفردوس كانت الزهور يانعة طوال السنة، ورائحتها الزكية لا تتلاشى، وجمالها البراق لا يزول، فهي تبقى جميلة إلى الأبد**. فجمال الزروع كلها يعكس عمل وإبداع **الخالق العظيم**، فالأغصان الكبيرة والصغيرة تحمل الثمار، سواء ذات الفرع الواحد أو ذوات الأفرع الكثيرة، وأوراقها خضراء جميلة، وتظلُّ خضراء يانعة طوال السنة، حتى التي لا تحمل أثمارًا فهي تُعطى بهجة وسرورًا، ولو قارنَّاها بأيِّ شيءٍ في هذا العالم فمقارنتنا لن تكون كافية لِتُوصِلَنَا إلى **الصورة الحقيقيَّة**، فكُلُّ شيءٍ هناك هو كامل ومتكامل، «وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدّاً» (تك١: ٣١).

ففي **الفردوس** كانت هناك جميع الطيور الجميلة، بريشها البديع بكُلِّ أشكاله وألوانه، وتغريدها العَذْب، فتُنعش كُلَّ الحواس، ومع الطيور كانت كُلُّ أنواع الحيوانات تعيش في سلام وانسجام مع بعضها البعض، فلم يكن الثعبان موضع رعب، ولكنه كان أليفًا لا يُؤذي، ولم يكن يزحف على الأرض على بطنه، بل كان قائمًا يتحرَّك على أرجُلِه، وجميع الحيوانات التي نعتبرها الآن متوحِّشة وعدُوَّة للإنسان كانت في هذا الوقت أليفة ورقيقة. في هذه البيئة وضع **الله الإنسان** الذي خلقه، « وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا» (تك٢: ١٥). فقد خلق **الله آدم** في مكان، ثم أُدْخِلَ إلى **الفردوس**، وبنفس الطريقة خَلَقَ أوَّلًا النُّور، ثمَّ ثبَّته في السَّماء، خَلَقَ **الإنسان من الطين**، ثم وضعه في **الفردوس**.

في الحقيقة قد أبهجتُكَ بوصفي **سعادة الفردوس**، ولكن شَرَحْتُ لكَ في نفس الوقت **الحياة التي يكتنفها الألم على هذه الأرض**، وبالتأكيد سوف يُدرك عقلُكَ مقدار المقارنة، ويشتاق إلى مسكنه الحقيقي ويحاول أنْ يحصلَ على هذه السعادة التي وعدنا بها الوحي قائلًا: « مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ» (١كو٢: ٩). **ولكن من يستطيع أنْ يعرفَ ما لم ترَهُ عينُه أوَّلًا، وما لم تسمعه أذنه أوَّلًا؟**، لأنَّ كُلَّ شيءٍ ندركُهُ بالحواسِّ لابُدَّ أنْ يُطبعَ في الذاكرة، ولكننا عندما نشرح ونصف **الفردوس** بالطريقة الجسديَّة التي أشرنا إليها سابقًا، فأنَّنا نستطيع أن نُحِسَّ روحيًّا **بواسطة الرموز** مقدار جمال هذا المكان، لأنه كُتِبَ: «وَغَرَسَ الرَّبُّ الإِلَهُ جَنَّةً فِي عَدْنٍ شَرْقاً» (تك٢: ٨). فنجد أنَّهُ لم يخبرنا بكُلِّ شيءٍ عن هذا المكان، ولكنَّنا نستطيع أنْ نقولَ إنَّ «**عَدْنٍ**» هي السعادة أو «**المتعة**»، من أجلِ هذا لعلَّك تستطيع أنْ تُعطي **صورة للفردوس** في عقلك حيث **النُّور الإلهيّ**، والسعادة الروحيَّة، فإنَّكَ لو تخيَّلتَ مكانًا على الأرض يعيش فيه **القديسون**، متألِّقين بنور فضائلهم، ويتمتعون بنعمة **الله**، ويعيشون في حياة هادئة بالحقِّ والعدل والسعادة، فهذا المكان لنْ يكون بعيدًا عن **الصورة المنطقيَّة للفردوس**.

ثالثًا: السعادة الحقيقيَّة:

ولكن ما هي هذه **السعادة** التي نقصدها؟ أَهِيَ الأطعمة التي تدخل الفم وتصل إلى المعدة وتخرج وتنتهي؟ أهذه العطيَّة وُهِبَت لجنس البشر بإحسانات **الله**، لكي تكون هناك معدة ممتلئة وجسم ممتلئ صحة، وشهوات وقتيَّة؟ أهذا هو ما لا نستطيع أنْ نعبِّر عنه بالكلمات؟ هل **السعادة الحقيقيَّة هي أنْ نتكبَّر بقسوة ونطلب أن نُسَمِّن أجسادنا، ونغرِّق نفوسنا في ارتكاب الخطايا والشهوات؟** لابُدَّ أنْ نعرفَ أنَّ هذه كلَّها، هي بعيدة تمامًا عن **السعادة**، وبعيدة عن المعنى الذي من أجلها خلقها **الله**. إذن ما هو نوع هذه **السعادة** التي تتفق مع الفضيلة والقداسة، ومع قصد **الخالق العظيم** ؟. في **الفردوس** تجد هناك الجموع الكثيرة مِنَ **الملائكة الأطهار القديسين**، وهناك الأساس المتين لكل الفضائل الروحيَّة، هناك التسبيح الدَّائم **وثماره النقاوة والطهارة**، وهناك نهر ماء الحياة، نهر **الله**، الذي من عرشه تنبع المياه التي تُبهج مدينة **الله**، التي صُنِعَت وَشُيِّدَت **بالله** «نَهْراً صَافِياً مِنْ مَاءِ حَيَاةٍ لاَمِعاً كَبَلُّورٍ خَارِجاً مِنْ عَرْشِ اللهِ وَ الْحَمَلِ» (رؤ٢٢: ١). هذا النهر هو الذي ينبع من **عدن (السعادة الحقيقيَّة) ويُروي الفردوس** « وَكَانَ نَهْرٌ يَخْرُجُ مِنْ عَدْنٍ لِيَسْقِيَ الْجَنَّةَ» (تك٢: ١٠)، هذا هو نهر التَمتُّع الدائم برؤيا **الله**، والشبع الكامل بالتأمُّل في مجد **المسيح** وجماله، وفي سلامنا الدائم من أجل تواجدنا في حضرته. هذه كلها أرشدت **القدِّيسين**، ولابُدَّ لِكُلِّ المؤمنين أنْ يقوموا بتداريب روحيَّة صارمة، حتى يَصِلُوا إلى حياة الكمال، هذه التي أرادها **الله** لكُلِّ سُكَّانِ **الفردوس**. عندما تُفكِّر في هذا، ستشكر **الله** صانعها الذي خَلَقَ كُلَّ هذا لأجل سرورك، وبَذَلَ كُلَّ جهدٍ حتى يجعلك مستحقًّا لها. وعندما تتجه إليه، حينئذ سيستنير عقلك **وستفهم أساس خلقتنا، ومصير آخرتنا**، له المجد إلى الأبد. أمين.

"من أقوال أمّنا البارَّة ثيودورة: تعرض أحد الرهبان للعديد من التجارب التي عذبته كثيرًا، فقال في نفسه: 'سأرحل من هنا'. وفي الحال، عندما انتعل حذاءه وهمَّ بالرحيل، رأى إنسانًا آخر، أي المجرِّب (الشيطان)، ينتعل حذاءه قائلًا له: 'من أجلي ترحل؟ سأكون أمامك لأقودك حيثما تذهب!' "

للقديس يوحنا الذهبيّ الفم – تتمة

لماذا ارتجَّت الأمم:

طَرَدَ باعة الحمام، وقلَبَ موائد الصيارفة، وفعل هذا بدافعٍ من محبَّته لهيكل الله، وفي نفس الوقت أظهرَ أنَّ ما فعله ليس ضدَّ إرادة الآب، بل وِفقَ إرادته. لذلك فقد دافعَ عن الهيكل، لأنَّ داخل الهيكل كانت تُجرى مساومات خاصَّة بالبيع والشراء. ولا هذا أيضًا قد تركه الأنبياء بلا ملاحظة، لأنَّ داود النبيّ سبَقَ فتكلَّم عن هذا، وخاصةً عن سبب انفعاله، إذ يقول: «لأَنَّ غَيْرَةَ بَيْتِكَ أَكَلَتْنِي» (مزمور ٦٩:٩). وهل هناك ما هو أكثر سهولة للفهم من ذلك؟

لقد رتَّبَ **يهوذا الإسخريوطي** أن يُسَلِّمَ المسيح، الذي أكلَ معه على مائدة واحدة، فقد سَبَقَ وأَعَدَّ للخيانة. إنتبه كيف تنبَّأَ نفس النبيّ عن ذلك قائلًا: «أَيْضًا رَجُلُ سَلاَمَتِي، الَّذِي وَثِقْتُ بِهِ، آكِلُ خُبْزِي، رَفَعَ عَلَيَّ عَقِبَهُ!» (مزمور ٤١:٩). لاحظ الآن كيف يتفق هذا الكلام مع ما قاله القديس متَّى البشير: «الَّذِي يَغْمِسُ يَدَهُ مَعِي فِي الصَّحْفَةِ هُوَ يُسَلِّمُنِي!» (متى ٢٦:٢٣). والأمر هنا ليس فقط في ارتباطه بمن سَلَّمه، بل ببيع هذا الدم الكريم، ونوال مكافأة ماليَّة نظير ذلك. ولا هذا قد تجاهله النبيّ أيضًا، بل إنَّه أظهَرَ الإتفاقات المخجلة، والكلمات التي تبادَلوها فيما بينهم، إذ يقول: « يَا إِلهَ تَسْبِيحِي لاَ تَسْكُتْ، لأَنَّهُ قَدِ انْفَتَحَ عَلَيَّ فَمُ الشِّرِّيرِ وَفَمُ الْغِشِّ.» (مزمور ١٠٨:١-٢). هذا **الخائن (يهوذا)**، قد نَدِمَ بعد أن فعل ما فعله، وألْقَى بالنقود، ثمَّ وضع نهاية لحياته، وشَنَقَ نفسه وترك زوجته أرملة، وأبناءه يتامَى، وبيته أصبَحَ خرابًا. لاحظ كيف يحكي النبيّ ويسرُد هذه الكارثة، وبأيِّ أُسلوب يقصّها: «لِيَكُنْ بَنُوهُ أَيْتَامًا وَامْرَأَتُهُ أَرْمَلَةً. لِيَتِهْ بَنُوهُ تَيَهَانًا وَيَسْتَعْطُوا، وَيَلْتَمِسُوا خُبْزًا مِنْ خِرَبِهِمْ.» (مزمور ١٠٨:٩-١٠). وبعد أن حدث ذلك، أخذَ مكانه واحدٌ من الرُسل وهو متياس. وهذا الحدث أيضًا قد أورده نفس النبيّ قائلًا: « وَوَظِيفَتُهُ لِيَأْخُذْهَا آخَرُ.» (مز ١٠٨:٨). عندما سُلِّمَ المسيح، وتمَّ القبض عليه بإرادته، وحدَّدوا له محاكمة مُشَكَّلَة من اليهود والأمم، بالمخالفة للقانون، فلتُلاحظ كيف أنَّ هذا قد سَبَقَ وأَخبَرَ به النبيّ أيضًا: «لِمَاذَا ارْتَجَّتِ الأُمَمُ، وَتَفَكَّرَ الشُّعُوبُ فِي الْبَاطِلِ؟» (مزمور ٢:١). ولمْ يتمّ التنبؤ بذلك فقط، بل وَبِصَمْتِهِ أيضًا، لأنَّه بينما ما قيل كان مُثيرًا، والإتهامات كثيرة، إلَّا أنَّه وقَفَ بينهم صامتًا، وهذا ما قاله إشعياء النبيّ: « كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ.» (إشعياء ٥٣:٧). بعد ذلك، أظهَرَ كيف أنَّ هذا الحُكم، كان ظالمًا. فيقول: «مِنَ الضُّغْطَةِ وَمِنَ الدَّيْنُونَةِ أُخِذَ.» (إشعياء ٥٣:٨). وهو بهذه الكلمات، أراد أنْ يقول: إنَّ لا أحدٌ قد حَكَمَ عليه بالعدل. بعد ذلك أشارَ إلى سبب موته، لكنه لم يُعانِ ما عاناه، بسبب خطاياه، إذ كان بلا خطيَّة وطاهرًا، بل جازَ كُلَّ هذه الآلام، من أجلِ حياة العالم. وهذا ما أشار إليه النبيّ، قائلًا: « لَمْ يَعْمَلْ ظُلْمًا، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ.» (إشعياء ٥٣:٩). هكذا أوضَحَ لأجلِ مَن ذُبِحَ، بل أضافَ سببًا آخرَ: «مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا» (إشعياء ٥٣:٥). ومن ناحية أُخرى أرادَ أن يُبَيِّن، ليس فقط سبب الموت على الصليب، وهذا قد سبَقَ وأخبَرَ به، قائلًا: « كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا.» (إشعياء ٥٣:٦). ومن جهة أنَّ اليهود سَيُعَاقَبُونَهُ لأجلِ شرورهم، فهذا قد أوضَحه بقوله: «وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ، وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ.» (إشعياء ٥٣:٩). أيضًا قال داود النبيّ: «لِنَقْطَعْ قُيُودَهُمَا» ثمَّ أضافَ: «اَلسَّاكِنُ فِي السَّمَاوَاتِ يَضْحَكُ. الرَّبُّ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ. حِينَئِذٍ يَتَكَلَّمُ عَلَيْهِمْ بِغَضَبِهِ، وَيَرْجُفُهُمْ بِغَيْظِهِ.» (مزمور ٢:٤-٥). ويعني بذلك، تشتُّتهم في كُلِّ العالم. هذا ما أعلنه المسيح له المجد في الأناجيل قائلًا: «أَمَّا أَعْدَائِي، أُولئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِيدُوا أَنْ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ، فَأْتُوا بِهِمْ إِلَى هُنَا وَاذْبَحُوهُمْ قُدَّامِي» (لوقا ١٩:٢٧). وعلى ذِكر الموت،

فإنَّهم لم يصمتوا أيضًا عن الإشارة إلى طريقة الموت، هذا ما ذكره **داود النبيّ** قائلًا: «ثَقَبُوا يَدَيَّ وَرِجْلَيَّ. أُحْصِيَ كُلَّ عِظَامِي» (مزمور ٢٢:١٦-١٧). ولم يَغِب عنه، تلك المخالفة والتجاوزات التي فعلوها بعد الصَلْب، يقول: «يَقْسِمُونَ ثِيَابِي بَيْنَهُمْ، وَعَلَى لِبَاسِي يَقْتَرِعُونَ.» (مزمور ٢٢:١٨).

العرش الملوكي:

بعد ذلك أعلَنَ عن دَفنه، بقوله: «وَضَعْتَنِي فِي الْجُبِّ الأَسْفَلِ، فِي ظُلُمَاتٍ، فِي أَعْمَاق.» (مزمور ٨٧:٦). ثمَّ تحدَّث بعد ذلك عن **قيامته**: «لأَنَّكَ لَنْ تَتْرُكَ نَفْسِي فِي الْهَاوِيَةِ. لَنْ تَدَعَ تَقِيَّكَ يَرَى فَسَادًا.» (مزمور ١٦:١٠). هذا ما قاله **إشعياء النبيّ** أيضًا بإسلوب مختلف: «أَمَّا الرَّبُّ فشاءَ أَنْ يَشْفِيَهُ مِنْ جِرَاحَاتِهِ، وَيُرِيَهُ النُّورَ، وَيُجَازِيَ البَارَّ الَّذِي بَرَّرَ كَثِيرِينَ» (إشعياء ٥٣:١٠ **بحسب المخطوط القديم، باليونانيّة**). وقد أوضحَ أيضًا أنَّه مات لكي يحمل خطايا البَشر، قائلًا: « وَهُوَ حَمَلَ خَطِيَّةَ كَثِيرِينَ»، وأنَّه خَلَّصَ البَشر **من الشياطين** يقول: «وَمَعَ الْعُظَمَاءِ يَقْسِمُ غَنِيمَةً» وأنَّه حقَّقَ كُلّ هذا **بموته**، يقول: «مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ سَكَبَ لِلْمَوْتِ نَفْسَهُ» (إشعياء ٥٣:١٠). ومن حيث أنَّه صارَ **ملك المجد**، فهذا أوضحه، بقوله: «وَارْتَفِعْنَ أَيَّتُهَا الأَبْوَابُ الدَّهْرِيَّاتُ، فَيَدْخُلَ مَلِكُ الْمَجْدِ.» (مزمور ٢٣:٧). **وأشعياء** أيضًا يقول: « أُكَسِّرُ مِصْرَاعَيِ النُّحَاسِ، وَمَغَالِيقَ الْحَدِيدِ أَقْصِفُ. وَأُعْطِيكَ ذَخَائِرَ الظُّلْمَةِ وَكُنُوزَ الْمَخَابِئِ» (أشعياء ٤٥:٢-٣). ويقصد بهذا، **الجحيم**. بالطبع يمكن أنْ ينطبق هذا على **الجحيم**، لكنه حفظ نفوسًا مقدَّسة، وأجسادًا كريمة مثل **إبراهيم، إسحق، ويعقوب**. لذلك فقد دعاهم **كنوزًا**، ولكنه ذكر الظلمة هنا، لأنَّ شمس البِرِّ، لم يُنِرهُ هناك، ولا عَلَّمَ عن القيامة. إسمع ماذا قال **داود النبيّ** أيضًا، عندما قام من الأموات، أنَّه لن يقف إلى جوار الملائكة أو رؤساء الملائكة، ولا أيِّ قوَّة روحيَّة أُخرى، بل يجلس على العرش الملوكي: «قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: «اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ».(مزمور ١٠٩:١).

في كُلِّ الأرضِ خَرَجَ منطقهم:

وبعد ذلك كان محدِّدًا سلفًا، أنْ يُرسِل رُسُلًا، وهذا قد أعلنه **أشعياء** بقوله: «مَا أَجْمَلَ عَلَى الْجِبَالِ قَدَمَيِ الْمُبَشِّرِ، الْمُخْبِرِ بِالسَّلاَمِ، الْمُبَشِّرِ بِالْخَيْرِ، الْمُخْبِرِ بِالْخَلاَصِ» (إشعياء ٥٢:٧). إنتبه إذًا، أيُّ عضوٍ من أعضاءِ الجسدِ يمتدِحُ؟، إنَّه يمتدح القَدَمين اللتين حملتهم إلى كُلِّ مكان. بعد ذلك يُشير **داود النبيّ** إلى الطريقة التي احتفظوا بها في بِشارتهم: « الرَّبُّ يُعْطِي كَلِمَةً. الْمُبَشِّرَاتُ بِهَا جُنْدٌ كَثِيرٌ» (مزمور ٦٧:١١). لأنَّه من المؤكَّد أنَّهم لم يستخدموا أسلحة، ولا أنفقوا أموالًا، ولا غلبوا بإمكانياتهم وقُدراتهم الذَّاتيَّة، ولا بحشود من الجنود، ولا بأيِّ أمورٍ أُخرى شبيهة، بل بكلماتٍ فقط، بكلام يحمل قوَّة كبيرة، وقد تبرهن ذلك بالمعجزات. ها هي الطريقة التي سادوا بها على كُلِّ المسكونة، كارزين بتعليم المصلوب، وقد أجروا المعجزات. **والرَّبُّ** سيعطي أولئك الذين يُبَشِّرون بالإنجيل، كلمة وقوَّة عظيمة، ويعني بها، تلك المعجزات التي أجروها. لأنَّه من المؤكَّد أنَّ هذه قوَّة عجيبة، أنَّ الصيَّاد، والعشَّار، وصانع الخيام، يُقيمون الأموات بكلمةٍ منهم ويُخرِجون **الشياطين**، ويُقَيِّدون ألسنة الفلاسفة، ويَسدُّون أفواه الخُطباء، ويتغلَّبونَ على ملوك وقادة، وينتصرونَ على بربر، وأُمم كثيرة، وبالصَّواب تكلَّمَ **النبيّ** هكذا. لأنَّ كُلَّ هذا قد حقَّقوه بالكلمة، وبقوَّة الكلمة، أعادوا الحياة إلى الموت، جعلوا الخُطأَةُ، أبرارًا، فتحوا أعين عميان، شفوا أمراضًا جسديَّة ونفسيَّة. مِنْ أينَ إذًا آتتهم هذه القوَّة التي كانت لديهم؟ **من الرُّوح القُدُس**. هكذا يذكر سفر الأعمال: «وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (أعمال ٢:٤). وكان الجميع رجالًا ونساءً، يتنبَّأون بدون تمييز، لأنَّه قد ظهرت ألسنة من نار، واستقرَّت فوق كُلِّ واحدٍ منهم، وهذا ما تنبَّأ به **يوئيل النبيّ** آنذاك، قائلًا: «أَنِّي أَسْكُبُ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ، فَيَتَنَبَّأُ بَنُوكُمْ وَبَنَاتُكُمْ، وَيَحْلُمُ شُيُوخُكُمْ أَحْلاَمًا، وَيَرَى شَبَابُكُمْ رُؤًى. وَعَلَى الْعَبِيدِ أَيْضًا وَعَلَى الإِمَاءِ أَسْكُبُ رُوحِي فِي تِلْكَ الأَيَّامِ،... قَبْلَ أَنْ يَجِيءَ يَوْمُ الرَّبِّ الْعَظِيمُ الْمَخُوفُ.» (يوئيل٢:٢٨-٣١). يتكلَّم عن هذا اليوم العظيم، ويقصد يوم حلول **الرُّوح القُدُس**، وأيضًا اليوم المرتبط بنهاية العالم. نفس **النبيّ** سَبَقَ فأخبَرَ بالخلاص الذي بالإيمان، أي ولا هذا الخبر قد صمتَ عنه، يقول: «وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ مَنْ يَدْعُو بِاسْمِ الرَّبِّ يَنْجُو.» (يوئيل٢:٣٢).

إنَّ **الله** سَيُرسِل مُبشِّرين إلى كُلِّ أرجاء العالم، ولن يستثني أحدًا من سماع هذه البشارة. وبالطبع هذا قد نادى به **الأنبياء** منذُ سنواتٍ بعيدة، إسمع **داود النبيّ** الذي تنبَّأ بذلك: « فِي كُلِّ الأَرْضِ خَرَجَ مَنْطِقُهُمْ، وَإِلَى أَقْصَى الْمَسْكُونَةِ كَلِمَاتُهُمْ.» (مزمور ١٨:٤). فقد أرادَ أن يُبيِّن، أنَّهم بَشَّروا بعد أن نالوا قوَّة وكانوا أكثر قوَّة من الملوك. وفي موضعٍ آخر يقول نفس **النبيّ**: «تُقِيمُهُمْ رُؤَسَاءَ فِي كُلِّ الأَرْضِ.» (مزمور ٤٤:١٦). والأحداث ذاتها تُبيِّن أنَّ **القدِّيسَيْن بطرس وبولس**، كانا أقوى من الملوك والرُّؤساء. لأنَّ قَوَانِينَ الْمُلُوكِ، قَدْ بَطُلَتْ حَتَّى وَهُمْ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ، أَمَّا قَوَانِينَ الصَّيَّادِينَ فَقَدْ تَرَسَّخَتْ، حَتَّى بَعْدَ أَنْ انْتَقَلُوا مِنْ هَذِهِ الْحَيَاةِ، وَبَقِيَتْ ثَابِتَةً لَا تَتَزَعْزَعُ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ مُحَاوَلَاتِ الشَّيَاطِينِ، وَالْعَادَاتِ الضَّارِبَةِ فِي الْقِدَمِ، وَالشُّرُورِ وَالْمُتَعِ، وَتَجَارِبِ أُخْرَىٰ لَا حَصْرَ لَهَا، لَمْ تَسْتَطِعْ أَنْ تَنْقُضَ هَذِهِ الْقَوَانِينَ، قَوَانِينَ الرُّسُلِ.

وبعد ذلك أراد أنْ يوضِحَ أنَّ هؤلاء، بعدما أخذوا السُلطان في أيديهم، فازوا بمحبَّة الجميع، لذلك أضافَ: «مِنْ أَجْلِ ذلِكَ تَحْمَدُكَ الشُّعُوبُ إِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ.» (مزمور ٤٤:١٧). أي سيشكرونَكَ، ويكونونَ مَدينينَ لك بالإحسان، لأنَّك أعطيتَهم مثل هؤلاء القادة الرُّوحيِّين. كما تنبَّأ **داود النبيّ** أيضًا بأنَّ كرازتهم ستَصِل إلى كُلِّ مكان، إذ يقول: «اسْأَلْنِي فَأُعْطِيَكَ الأُمَمَ مِيرَاثًا لَكَ، وَأَقَاصِيَ الأَرْضِ مُلْكًا لَكَ.» (مزمور ٢:٨). هذا عينه ما يقوله **نبيّ** آخر: «لأَنَّ الأَرْضَ تَمْتَلِئُ مِنْ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ كَمَا تُغَطِّي الْمِيَاهُ الْبَحْرَ.» (أشعياء ١١:٩). لاحظ كيف كانت الطَّاعة سَهلةً، ولم يعودوا يُعلِّمون بعد كُلِّ واحدٍ صاحبه، وكُلِّ واحدٍ أخاه قائلين: «اعْرِفُوا الرَّبَّ، لأَنَّهُمْ كُلَّهُمْ سَيَعْرِفُونَنِي مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كَبِيرِهِمْ» (إرميا ٣١:٣٤). أيضًا **تنبَّؤا** بثبات الكنيسة: «وَيَكُونُ فِي آخِرِ الأَيَّامِ أَنَّ جَبَلَ بَيْتِ الرَّبِّ يَكُونُ ثَابِتًا فِي رَأْسِ الْجِبَالِ،

وَيَرْتَفِعُ فَوْقَ التِّلاَلِ، وَتَجْرِي إِلَيْهِ كُلُّ الأُمَمِ.» (أشعياء ٢:٢). وإنَّه لن تكون فقط ثابتة، وراسخة، وغير متزعزعة، بل أيضًا ستنشر السلام في أرجاءِ المسكونة، وَسَتَبْطُل في كُلِّ المدن، ديمقراطيَّة الملوك، وستوجَد مملكة واحدة فقط، تحوي الجميع، وسيتمتَّعون بسلامٍ وفير، وليس كما الآن. قديمًا كان جميع الحِرَفيِّين والخُطباء، يصطفُّونَ للإعدادِ للحربِ، لكن عندما أتى **المسيح**، إنتهى كُلُّ هذا، وانحصرت الحروب في أماكن محدودة. هذا ما أوضحه **إشعياء النبيّ**، قائلًا: «فَيَطْبَعُونَ سُيُوفَهُمْ سِكَكًا وَرِمَاحَهُمْ مَنَاجِلَ. لاَ تَرْفَعُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ سَيْفًا، وَلاَ يَتَعَلَّمُونَ الْحَرْبَ فِي مَا بَعْدُ.» (إشعياء ٢:٤). بالطبعِ كان الجميع قبلًا، يعيشون على هذه الحِرَفِ، أمَّا الآن فقد توارت (**صناعة السيوف والمناجل**) تمامًا، ولكن إن وُجِدَ البعض يُمارسون هذا الأمر، فهم قليلون، وغير متَّحدين، وليسوا كثيرين كما كان الوضعُ في البداية، حيث كانت الثورات كثيرة، وكانت تشتعل في كُلِّ أُمَّةٍ، بعد ذلك أخبروا عن **تكوين الكنيسة**، وممَّا تَتَشَكَّل. لأنَّه مِنَ المُؤَكَّد ألَّا يوجد داخل الكنيسة أُناس وُدَعاء، ولُطفاء، وأُمناء، بل أيضًا متوحشين، وقُساة، وسيكونونَ مُلزمين أن يتآلفوا فيما بينهم، كما لو كانوا ذِئابًا، وأُسودًا، وثيرانًا، وفي النهاية يصير الجميع كنيسة واحدة، إسمع كيف يَصِف **النبيّ** تنوُّع هذا القطيع، قائلًا: «فَيَسْكُنُ الذِّئْبُ مَعَ الْخَرُوفِ» (إشعياء ١١:٦). مُظهِرًا بذلك مدى بساطة حياة الملوك. ومن حيث أنَّ هذه الأمور لم يقصد بها الحيوانات المفترسة، وإلَّا فليقل لنا اليهودي، متى حدث شيءٌ مثل هذا؟ لأنَّه بالطبعِ لا يمكن للذئبِ أن يرعى مع الخروف، وحتى لو استطاعَ أن يرعى، فماذا يستفيد البشر من وراء هذا الحدث؟ بالتأكيد هو يقصد سلوك البشر المتوحِّشين، أي السكيثين، وأهل تراكي، الزنوج، الهنود، والفُرس أيضًا. ومن حيث أنَّ هذه الأمم قد اُقتيدَت إلى الخضوعِ لنفس النير، فهذا ما أوردَهُ **نبيٌّ آخر**: « أجعَل الشُعوب شِفَاهًا طاهرة ليدعوا بآسم الرَّبِّ، ويعبدوه بقلبٍ واحدٍ» (صفنيا ٣:٩ الترجمة السبعينيّة). وليس فقط في أورشليم، بل في كُلِّ المسكونة. أي لن يُجْبِروا الناس على الذهاب إلى أورشليم، بل كُلّ واحد يبقى في بيته، ويمكنه أن يتمِّم واجباته الدينيَّة.

إسمه عظيمٌ بين الأمم:

وبالنسبة لتشتُّت اليهود، فهذا أيضًا ما قد تنبَّأ به **النبيّ** قائلًا: «مَنْ فِيكُمْ يُغْلِقُ الْبَابَ، بَلْ لاَ تُوقِدُونَ عَلَى مَذْبَحِي مَجَّانًا؟» (ملا ١:١٠). ومن حيث أنَّ البعض سيخدم **الله** ويسجد له، فهذا أيضًا قد أُخبِرَ بِهِ: «لأَنَّهُ مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ إِلَى مَغْرِبِهَا اسْمِي عَظِيمٌ بَيْنَ الأُمَمِ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ يُقَرَّبُ لاسْمِي بَخُورٌ وَتَقْدِمَةٌ طَاهِرَةٌ» (ملا١:١١). أرأيتَ كيف أظهَرَ أهميَّة وأصالة العبادة؟ وكيف يكون التمييز والاختلاف؟ وَأَنَّ الْمَكَانَ لَا يَحْمِلُ أَهَمِّيَّةً، وَلَا الرَّوَائِحَ، وَالْأَبْخِرَةَ، بَلِ الطَّرِيقَةَ الْمُخْتَلِفَةَ الَّتِي تَتِمُّ بِهَا الْعِبَادَةُ؟ وَكَيْفَ جَذَبَ الرُّسُلُ كُلَّ هَؤُلَاءِ؟ فَذَاكَ الَّذِي تَكَلَّمَ لُغَةً وَاحِدَةً فَقَطْ، وَهِيَ الْيَهُودِيَّةُ (الْعِبْرِيَّةُ)، كيف أقنَعَ **السكيثي، والهندي، والتراكي** أنْ يقبلوا الإيمان؟ هذا كان أمرًا طبيعيًّا، بعدما أخذ موهبة التكلم بالألسنة، كعطيَّةٍ من **الرُّوح القُدُس**، وهذا أيضًا ينطبق على الأمم. ومن حيث أنَّ الأمر، لم يجذب اليهود، إسمع كيف أوضَحَ **النبيّ** هذا، قائلًا:«إِنَّهُ بِشَفَةٍ لَكْنَاءَ وَبِلِسَانٍ آخَرَ يُكَلِّمُ هذَا الشَّعْبَ، ... وَلكِنْ لَمْ يَشَاءُوا أَنْ يَسْمَعُوا.» (أشعياء ٢٨:١١-١٢). وهل هناك ما هو أكثر سهولة للفهم، بحيثُ يمكن للمرءِ أن يُدركه؟ كان مكتوبًا أنَّ اليهود لن يُؤمنوا، وأنَّ الأمميِّين سيُدعَوْنَ، وهذا ما سبَقَ وأُخبِرَ بِهِ أيضًا، إسمع **إشعياء النبيّ** الذي يذكر ذلك قائلًا: «أَصْغَيْتُ إِلَى الَّذِينَ لَمْ يَسْأَلُوا. وُجِدْتُ مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَطْلُبُونِي. قُلْتُ: هأَنَذَا، هأَنَذَا. لأُمَّةٍ لَمْ تُسَمَّ بِاسْمِي. بَسَطْتُ يَدَيَّ طُولَ النَّهَارِ إِلَى شَعْبٍ مُتَمَرِّدٍ سَائِرٍ فِي طَرِيقٍ غَيْرِ صَالِحٍ وَرَاءَ أَفْكَارِهِ.» (إشعياء ٦٥:١-٢). وفي موضعٍ آخر يقول: «نَمَا كَنبَتَةٍ أمامه، وَكَعِرقٍ في أرضٍ قاحلة» (إشعياء ٥٣:٢ الترجمة السبعينيَّة). وفي آيةٍ أُخرى يقول: «مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا، وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟» (إشعياء ٥٣:١). لم يتكلَّم عن تعليمنا، فقد أرادَ أن يُبيِّن هنا، أنَّهم لم يتكلَّموا عن آرائهم الخاصَّة حتى في أبسط الأمور، بل كرزوا بكلِّ ما سمعوه من **الرَّبِّ**. ومن حيث أنَّه ينبغي علينا أن نُفَضِّل بالأكثر الأمور الخاصَّة بنا، على الغريبة عنَّا، وأن تُصبح موضع تكريم وقيمة، فهذا ما أعلنه **موسى النبيّ** أيضًا قائلًا: «أُغِيرُهُمْ بِمَا لَيْسَ شَعْبًا، بِأُمَّةٍ غَبِيَّةٍ أُغِيظُهُمْ.» (تثنية ٣٢:٢١). ويعني بهذا بُؤس وتعاسة الشعب سابقًا، بقوله: « بِمَا لَيْسَ شَعْبًا». لأنَّهم لم يُعتَبروا شعبًا أو أُمَّة بسبب البُؤس الكبير، والحماقة، والغباء. ولكن بسبب إيمانهم، حدث تغيُّر كبير، ونالوا تقديرًا كبيرًا وكرامة، أكثر من ذوي الكرامة والاستقامة. هذا التوجُّه يمَسُّ اليهود، وبسببه سيصيرونَ أفضل، وهذا قد وَضَحَ من كلام **النبيّ**؛ لأنَّه لم يَقُل فقط، سأكرم أكثر، لكنه يُعلن بالإضافة إلى ذلك، التَحَسُّن الذي كان يأمل أنْ يطرأ عليهم بسبب غيرتهم يقول: «أُغِيرُهُمْ بِمَا لَيْسَ شَعْبًا»، أي سأُعطي الكثير للأمم، حتى تَغيروا وتغتاظوا، وهذا قد جعلهم بالحقيقة أفضل، لأنَّ أولئك الذين رأوا البحر الأحمر وهو يَنْشَقُّ، والصخور ينبع منها الماء، والتغيُّرات التي حدثت في الطبيعة، ومُعجزات أُخرى كثيرة، **وَهُمُ الذين كانوا يُضَحُّون بأولادهم، وأقاموا الاحتفالات تكريمًا للبعل، وشاركوا في الكثير من أعمال السِّحر**، هؤلاء إذْ قد جذبناهم، وَقَبِلُوا ما نُؤمن بِهِ، مُفَضِّلين إيَّاهُ عمَّا كانوا يؤمنون بِهِ، تأثَّروا بشدة، بسبب الغيرة، حتى أنَّهم صاروا أفضل، وما لم يستطيعوا أن يُحقِّقوه، وهم يسمعون **الأنبياء**، وينظرون أمورًا تتجاوز الطبيعة، فهذا قد حقَّقوه، بسبب الغيرة مِنَّا. إذًا الآن لا أحد من هؤلاء يذبح أبناءَهُ، ولا يركض نحو الأوثان، ولا يسجد لأيِّ عِجل (**يقصد العجل الذهبي الذي صنعه الشعب قديمًا، عندما تأخَّرَ موسى النبيّ من النزول من على جبل سيناء، حيث كان يصعد إلى هناك لتلقِّي الوصايا العشر. وعندما نزَلَ، كسَّر وفتَّتَ الوصايا وحرقه، وبعدما ألقى برماده في الماء، سقى الشعب منه.**)

إنَّ قيمة وأهميَّة العذراويَّة، ليست موجودة في العهد القديم، حتى كمُجرَّد كلمة، ولكن لاحظ كيف يتنبَّأ **داود النبيّ** بها، أنَّها ستشرق ببهاء في العهد الجديد، إذْ يقول: «فِي إِثْرِهَا عَذَارَى صَاحِبَاتُهَا. مُقَدَّمَاتٌ إِلَيْكَ... يَدْخُلْنَ إِلَى قَصْرِ الْمَلِكِ.» (مزمور ٤٤:١٤-١٥). بل لم يَنْسَ ولا حتى آسم هؤلاء المُقَدَّسين وأعني الوكلاء: «وَأَجْعَلُ وَكَلاَءَكِ سَلاَمًا وَوُلاَتَكِ بِرًّا.» (إشعياء ٦٠:١٧).

يتبع في العدد القادم

«صَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ» (١):

✝ «وَلَمَّا رَأَى الْجُمُوعَ صَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ، فَلَمَّا جَلَسَ تَقَدَّمَ إِلَيْهِ تَلاَمِيذُهُ. فَفَتَحَ فَاهُ وَعَلَّمَهُمْ قَائِلاً» (مت ٥: ١-٢).

مَنْ مِنَ الحاضرين هو تلميذٌ للكلمة وَكُفْؤٌ للصعودِ معه من الأرض السُّفليَّة، أي من الأفكار السَطحيَّة الحقيرة، إلى جبل التأمُّل الرُّوحي السَّامي؟

هذا الجبل يترك خلفه كُلَّ الظلال المطروحة بواسطة التلال المرتفعة بالإثم؛ وبالعكس، فهو مُشرق من جميع النواحي بأشعة النور الحقيقي. ومن قمته، فإنَّ كُلَّ الأشياء التي تظل غير مرئيَّة لأولئك المسجونين، يمكن رؤيتها في جوِّ الحقِّ النقي.

إنَّ **كلمة الله** ذاته الذي يُسمِّي الذين صعدوا معه «**مُطوَّبين**»، يُجدِّد طبيعة وعدد الأشياء التي يتأمَّل فيها من هذا العُلوّ. إنه يُشير إليها كما من إصبعه: هنا ملكوت السماء، وهناك ميراث الأرض العُليا، ثمَّ **الرحمة والعدل والعزاء والصلة بإله** كُلِّ الخليقة، وثمرة الاضطهاد، أي أنْ يُصبح الإنسان عزيزًا لدى الله. **والكلمة** يُشير بإصبعه إلى أيِّ أشياء أخرى هناك يمكن أنْ تكون مرئيَّة من قمة الجبل حتى يتأمَّل فيها الرَّجاء من علوِّ القمة.

وحيث إنَّ **الرَّبَّ** «**صَعِدَ إِلَى الْجَبَلِ**»، فلْنُصْغِ إلى **إشعياء النبيّ** الذي يقول: «هَلُمَّ نَصْعَدْ إِلَى جَبَلِ الرَّبِّ» (إش٢: ٣). فإذا كُنَّا ضُعفاء من **الخطيَّة**، فلتتشدَّد أيادينا الواهنة وركبنا الضعيفة، كما يوجِّهنا **النبي إشعياء** قائلًا: «شَدِّدُوا الأَيَادِيَ الْمُسْتَرْخِيَةَ، وَالرُّكَبَ الْمُرْتَعِشَةَ ثَبِّتُوهَا» (إش٣٥: ٣). لأنَّهُ عندما نكون قد وصلنا إلى القمَّة، فَسَنَجِدُ ذاك الذي يشفي كُلَّ مَرَضٍ وضَعْفٍ، الذي يأخذ على عاتقه ضعفاتنا ويحمل أوجاعنا (انظر إش ٥٣: ٤). فلنصعد سريعًا حتى يُمكننا أن نتأسَّس مع **إشعياء النبيّ** على قمة الرَّجاء، ونرى من ذلك المكان المُميَّز الصالحات التي يُظهِرها **الكلمة** لأولئك الذين يتبعونه إلى الأعالي. ولعلَّ **الله الكلمة** يفتح فمه لنا أيضًا ويُعلِّمنا تلك الأمور التي يُعتَبَر سماعها غبطة لنا. ولعل بداية التعليم الذي ينطقه، يصبح لنا بداية **للتأمُّل**!

«طوبى للمساكين بالرُّوح»:

إنَّهُ يقول: «طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ» (مت ٥: ٣). لنفرض أنَّ رَجُلًا طَمَّاعًا صادَفَتْهُ وثيقة تُعلِن عن مكانٍ فيه كنز، ولكنه يحتاج إلى عَرَقٍ كثير وكدٍّ لأيِّ واحد يريد أنْ يحصل عليه؛ فهل تظنُّ أنَّ هذا الرجل تُثبِّط همَّته **تلك المصاعب** ويُبطئ في الحصول على هذه الفائدة؟ بالتأكيد، **لا**؛ بل إنَّهُ يستدعي كُلَّ أصدقائه ليُساعدوه في امتلاك هذا الكنز. فدعونا، نحن الذين نشتهي الذَّهب النقيّ، نستعين بأيادي عديدة، أي الصلوات، حتى يبرز الكنز إلى النور، فيقتسمه الجميع بالتساوي، ويمتلك كُلُّ واحدٍ الكنز كلَّه. لأنَّ توزيع الكنز يكون بمُشاركة جميع الذين يبحثون عنه، ولكنه يكون حاضرًا كلُّه لكلِّ واحد بدون أنْ يُنقصه أولئك الذين يُشاركون فيه.

هذا صحيحٌ في توزيع الثروة الأرضيَّة، فالإنسان الذي يدَّخر لنفسه أكثر ممَّا يُناسبه، يُضلِّل أولئك الذين يجب أنْ يكون لهم نصيبٌ مساوٍ له، لأنَّهُ بزيادة نصيبه فهو بالتأكيد يُقلِّل من نصيب الآخر الذي يُشاركه. وأمَّا الثروة الروحيَّة، فهي بالعكس، تفعل مثل الشمس التي تنقل ذاتها لجميع الذين يطلبونها، وتكون حاضرة بكلِّيتها لكلِّ واحدٍ منهم. وحيث إنَّ كلَّ إنسانٍ يرجو نفس المكافأة لِتَعَبِهِ، فلنتعاون جميعًا بالصلاة للحصول على ما نطلبه.

ويجب على كلِّ إنسانٍ أولًا أنْ يتأمَّلَ فيما **يعنيه التطويب بالضبط**. إنَّ التطويب في رأيي هو امتلاك كُلِّ الأمور التي تُعتَبَر صالحة، والتي لا ينقصها أيُّ شيء تريده الرَّغبة الصالحة. ولعلَّ معنى **التطويب** يصبح أوضح لنا إذا قورن بما هو عكسه، فعكس **التطويب** هو **البؤس**. **والبؤس** يعني أنْ يكون المرء مُتضايقًا بدون إرادته بآلامٍ موجعة. لأنَّهُ من الطبيعي أنَّ الإنسان الذي يُدعَى مُباركًا يتلذَّذ بِطَعْمِ الأشياء التي توضَع أمامه لأجل مُتعته؛ في حين أنَّهُ يجب على الإنسان الذي يُعتَبَر تعيسًا أنْ يحزنَ بشدَّة من حالته الحاضرة.

إنَّ الشيء الوحيد المُبارَك حقًّا هو الَّلاهوت ذاته. ومهما كان أي شيء آخر نفترض أنْ يكون هو تلك الحياة النقيَّة والصلاح الذي

يفوق الوصف وغير المعقول، فيكون هو **التطويب**. إنَّهُ **التطويب**، ذلك الجمال الذي لا يُعبَّر عنه، والذي هو نعمة عظيمة وحكمة وقوّة. هٰذا **النُّورُ الحَقِيقِيُّ** الَّذِي هُوَ يَنْبُوعُ كُلِّ صَلَاحٍ، وَهُوَ قَدِيرٌ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ آخَرَ. الشَّيْءُ الوَحِيدُ المَحْبُوبُ، وَالَّذِي هُوَ ذَاتُهُ دَائِمًا، يَفْرَحُ بِلَا حُدُودٍ فِي سَعَادَةٍ لَا نِهَائِيَّةٍ. حَتَّى لَوْ قَالَ وَاحِدٌ عَنْهُ كُلَّ مَا يُمْكِنُهُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ شَيْئًا مِمَّا يَسْتَحِقُّهُ. فَالعَقْلُ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَصِلَ إِلَى ذٰلِكَ الكَائِنِ، حَتَّى لَوِ اسْتَمَرَرْنَا فِي الِاعْتِقَادِ بِأَفْكَارٍ أَكْثَرَ سُمُوًّا بِخُصُوصِهِ. وَمَعَ ذٰلِكَ، فَإِنَّهُ لَا يُمْكِنُ لِأَيِّ كَلِمَةٍ أَنْ تُعَبِّرَ عَمَّا تَعْنِيهِ.

ولكن حيث إنَّ **اللهَ** الذي خلق **الإنسان**، **خَلَقه** على صورته، فيجب أيضًا اعتبار الإنسان مُبارَكًا بقدر مُشاركته في **التطويب الحقيقي**. لأنَّهُ كما في أَمْر الجمال الجسدي، يكون الجمال الأصلي في الوجه الحيّ، ويكون مسنودًا بانعكاسه الذي يظهر في صورته؛ هكذا أيضًا الطبيعة البشريَّة، التي هي **صورة التطويب الفائق**، فهي ذاتها تكون موسومة بجمال الصلاح عندما تعكس في ذاتها ملامح الشخصيَّة المُبارَكة. ولكن حيث إنَّ **قذارة الخطيَّة** قد شوَّهت جمال الصورة، فقد جاءَ **الرَّبُّ** لكي يغسلنا بمائِهِ الحيّ الذي ينبع إلى **حياةٍ أبديَّة**. وهكذا عندما خلعنا **عار الخطيَّة**، فسنتجدَّد مرَّةً أخرى إلى هيئة مُبارَكة.

إنَّ رسَّامًا ماهرًا أمكنه أنْ يُخبرَ الجاهل بأنَّ الوجه لكي يكون جميلًا يجب أنْ يتكوَّن من ملامح ماديَّة مُعيَّنة؛ وهكذا أيضًا فإنَّ ذاك الذي يرسم نفوسنا على شِبْه **الرَّبِّ** المُبارَك الوحيد، يصف بالكلام كُلَّ ما **يُسبِّب تطويبًا**، وهو يقول أوَّلًا: «طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ». ولكن أيَّة منفعة يمكننا أنْ نحصدها من هذا الجُودِ إنْ لم يكُن لدينا معنى الكلام المشروح لنا؟ في علم الطبِّ أيضًا، تكون العديد من العقاقير الثمينة والمُكتَشَفة بمشقَّة، غير نافعة لأولئك الذين لا يعرفونها، حتى نعرف فائدة كُلٍّ منها من علم الطبِّ هذا. فما هي إذن، هذه **المسكنة بالرُّوح** التي بواسطتها نمتلك ملكوت السموات؟

إننا نَعْلَم مِنَ الكتاب المقدَّس أنَّ هناك نوعين من الغِنَى: أحدهما يكون **مرغوبًا فيه**، والآخر **مُدانًا**. الغِنَى في الفضيلة يجب أنْ نَتعقَّبه، ولكن الثروة الماديَّة تكون مرفوضة؛ لأنَّ الأولى هي ربحٌ للنفس، بينما الأخرى تميل إلى **خداع الحواس**. وعلى ذلك، فإنَّ **الرَّبَّ** يمنع ادِّخار تلك الأخرى، لِأَنَّهَا لَا تَنْفَعُ إِلَّا كَطَعَامٍ لِلْعُثِّ وَتَخْتَذِبُ اللُّصُوصَ. ولكنه يُوصينا أنْ نكون مُتحمِّسين للثروة الروحيَّة التي لا تلمسها قوَّة الفساد. وبِذِكْرِهِ للعُثِّ واللصوص، أظهَر ما يُحطِّم كنوز النفس. وَإِنْ كَانَ الْفَقْرُ مُضَادًّا لِلثَّرْوَةِ، فإنَّ الإنسان يجب عن طريق المُماثلة أيضًا أن يَعْلَم عن فقرٍ مُضاعف؛ أحدهما يجب أنْ يُرفضَ، والآخر يُعتَبَر مُبارَكًا.

إن كان إنسَانٌ يُعْوِزُهُ ضَبْطُ النَّفْسِ، أو ما هو ثمين من البرِّ أو الحكمة أو الفطنة، أو إنْ وُجِدَ ناقصًا تمامًا في أيٍّ من تلك الكنوز العظيمة؛ فهو **بائسٌ وجديرٌ بالشفقة**، لأنَّهُ فقيرٌ في الأشياء ذات القيمة الحقيقيَّة. ومِن ناحيةٍ أخرى، إذا كان شخصٌ فقيرٌ باختياره في كلِّ ما له شأن بالإثم، وَإِذَا لَمْ تَكُنْ لَدَيْهِ كُنُوزٌ **شَيْطَانِيَّةٌ** مُخَبَّأَةٌ فِي حُجْرَتِهِ الدَّاخِلِيَّةِ، ولكنه حارٌ بالرُّوح؛ فهو يدَّخر لنفسه كنز الفقر في الشرِّ. إنَّهُ هو الإنسان الذي يُقدِّم له **الكلمة** التمتُّع بهذه المسكنة التي تُعتَبَر مُبارَكة، والتي ثمرتها هي ملكوت السموات.

إنَّ هدف حياة الفضيلة، هو أنْ يصبحَ الإنسان شبيهًا **بالله**. ولكن الإنسان لا يمكن بأيَّة وسيلة أن يتشبَّه بالطهارة التي **بدون هوى**. لأَنَّهُ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ تَكُونَ الحَيَاةُ المُرْتَبِكَةُ بِالْأَهْوَاءِ. تصبح مثل الطبيعة الإلهيَّة غير المتأثِّرة بِالْأَهْوَاءِ. فإنْ كان الَّلاهوت هو وحده المغبوط، كما يقول (بولس) الرسول: «الْمُبَارَكُ الْعَزِيزُ الْوَحِيدُ» (١تي ٦: ١٥)، والإنسان يُشارِك في هذه الغبطة بالتشبُّه **بالله**؛ إلاَّ أنَّهُ إذا كان من الناحية الأخرى من المستحيل بالتشبُّه **بالله**، فحينئذ يكون **التطويب** أبعد من أنْ تصل إليه الحياة البشريَّة.

فهناك أمورٌ تخصُّ الَّلاهوت، وقد وُضِعَت لكي يتشبَّه بها الذين يرغبونها. فما هي هذه الأمور؟ يبدو لي أنَّ «**الكلمة**» يُفهَم من المسكنة بالرُّوح، من التواضُع الاختياري. وكمثال على ذلك، فإنَّ الرسول (بولس) يذكُر فقر **الله** عندما يقول: «... أَنَّهُ مِنْ أَجْلِكُمُ افْتَقَرَ وَهُوَ غَنِيٌّ، لِكَيْ تَسْتَغْنُوا أَنْتُمْ بِفَقْرِهِ» (٢كو ٨: ٩). إنَّ كلَّ شيء يُتَأَمَّل فيه في الطبيعة الإلهيَّة يفوق حدود الطبيعة البشريَّة، ولكن التواضُع مُتماثِل وكأنَّهُ أخٌ لنا، ذاك الذي يمشي على الأرض، والذي هو مُكوَّن من تراب ويتحلَّل مرَّةً أخرى إلى تراب. فإذا تشبَّهتَ أنت **بالله** فيما هو ممكن لطبيعتك، فإنك تكون قد لَبِستَ الشكل المُبارَك.

ولكن لا يتصوَّر أحدٌ أنَّ التواضُع يمكن تحقيقه بسهولة وبدون مشقَّة؛ بل بالعكس، فهو يحتاج إلى جهدٍ أكثر من مُمارسة أيَّة فضيلة أخرى، لماذا؟

بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الإِنسَانَ قَدْ حَصَلَ عَلَى بُذُورٍ صَارِحَةٍ، فإنَّ رأس البذور العكسيَّة، أي **زوان الكبرياء الذي يزرعه عدو حياتنا**، يكون قد اتَّخذ له أصلًا (بنى له جَذر أو بداية) عندما كان الإنسان نائمًا. ولا يوجد أيُّ شرٍّ آخر مؤذيًا لطبيعتنا مثل ذلك الذي **تُسبِّبه الكبرياء**. وحيث إنَّ رذيلة العجرفة مغروسة في كلِّ إنسانٍ تقريبًا، ذاك الذي يُشارِك في الطبيعة البشريَّة؛ فإنَّ **الرَّبَّ** يبدأ بهذا **التطويب**. إنَّهُ يزيل **الكبرياء، ذاك الأصل الشرير**، من شخصياتنا؛ بأن يُشير علينا أنْ نتشبَّه به، ذاك الذي أصبح فقيرًا بإرادته، والذي هو **الْمُطَوَّبُ الْحَقِيقِيُّ (الْمَسِيحُ الإِلٰهُ)**.

بهذه الطريقة نُصبح مثله، بقدر إمكاننا، بأنْ نكون فقراء بمشيئتنا الحُرَّة، وبذلك نُشارِك في تطويبه. لأنَّهُ كما قيل: «فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضاً: الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلاً للهِ. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذاً صُورَةَ عَبْدٍ» (في ٢: ٥-٧). فَأَيَّةُ مَسْكَنَةٍ تَكُونُ أَعْظَمَ لله أَكْثَرَ مِنْ صُورَةِ **عَبْدٍ**؟ وَأَيُّ اتِّضَاعٍ أَكْثَرَ لِمَلِكِ الْخَلِيقَةِ مِنْ أَنْ يُشَارِكَ فِي طَبِيعَتِنَا الْمَسْكِينَةِ؟

إنَّ قائد القادة وربَّ الأرباب، يرتدي باختياره **ثوب العبوديَّة**. إنَّ قاضي كُلِّ الأمور، يصبح خاضعًا للحُكَّام؛ **رَبُّ** الخليقة، يُقيم في مغارة؛ ذاك الذي يضبط الكون بيديه، لا يجد مكانًا في الفندق، ولكنه أُلقِيَ في مذود حيوانات غير عاقلة. إنَّ الطاهر بالكمال، يقبل قذارة الطبيعة البشريَّة؛ وبعد مروره بكلِّ فقرنا، مرَّ **بخبرة الموت**.

اِنظُرْ إِلَى الْمُسْتَوَى الَّذِي بِهِ يُقَاسُ الْفَقْرُ الاخْتِيَارِيُّ. **إِنَّ الْحَيَاةَ تَذَوَّقَ الْمَوْتَ**؛ والقاضي يؤتَى به إلى الدينونة. **رَبُّ** حياة الخليقة كلها، يُحكَم عليه. القاضي، ملك جميع القوّات السماويَّة، لَا يَدْفَعُ عَنْهُ أَيْدِي مُنَفِّذِي حُكْمِ الْإِعْدَامِ. فهو يقول: «**اتَّخِذْ ذَلِكَ كَمِثَالٍ تَقِيسُ بِهِ اتِّضَاعَكَ**». وَبِكَوْنِكَ مُبَارَكًا، سَتَرْبَحُ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ، مُقَابِلَ اتِّضَاعِكَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الْعَابِرَةِ.

أتحب أن تَعْلَم مَن هو الذي يكون مسكينًا بالروح؟

هو ذاك الذي قد مُنِحَ غِنَى الرُّوح مقابل الثروة الماديَّة، الذي هو مسكين من أجل الرُّوح. لقد تخلَّص من الغِنَى الأرضي، كحِمْلٍ ثقيل، حتى يمكن أن يُرفَع بخِفَّةٍ في الهواء، ويُولَد من فوق، كما يقول (بولس) الرسول: «لِمُلاَقَاةِ الرَّبِّ فِي الْهَوَاءِ» (١تس ٤: ١٧).

التتمة في العدد القادم

(١) **مُترجم من كتاب**: Ancient Christian Writers, Vol. 18, p. 85.

قصة من واقع الحياة

الكلب والبجع

في **البلدان الإسكندنافية** (**السويد والنرويج وفنلندا**)، تكثر المياه الضحلة التي يتوالد فيها السمك بكثرة، ولذا يكثر أيضًا الصيادون هناك.

خرج الصياد ليصطاد، وكان معه قاربه الصغير. لا يحمل فيه سوى أدوات الصيد، وجردل بلاستيكي يحتوي على الطعم الذي يستخدمه لصيد الأسماك، بالإضافة إلى كلبه الظريف الأمين الذي لا يكاد يفارقه.

وأثناء تجوّل الصياد بين الجزر الضحلة، توقف ليلقي بصنارته التي اعتاد عليها. وبعد قليل، جاء أحد طيور البجع المنتشرة هناك، ليأخذ أحد العناكب التي كانت موجودة كطعم لصيد الأسماك. فهبَّ الكلب الأمين، وزمجر ضد هذا الطائر

ثم مرَّةً ثانية، جاءَ **الطائر** ليأخذ أحد الديدان، فإذا **بالكلب** يلتقطها منه ويتناحران عليها.

فطار **الطائر** الجميل وعاد إلى عشه القريب. هنا رأى **الكلب** الصغير ذالك **الطائر** البديع وهو يعطي فراخه الصغيرة أحد الأسماك كطعام. وحين دقَّق في ما حدث، وجد أنَّ **الفراخ الصغيرة** لم ترضَ أن تأكل هذا السمك. حينئذٍ أدرك لماذا كان البجع يسعى لأخذ إحدى العناكب من الصياد.

هذا الموقف جعل هذا **الكلب الوفيِّ الذكيِّ** ينتبه إلى هذا الأمر.

فماذا فعل؟ إذْ به يمدُّ يده ويأخذ أحد العناكب ويضعها **لطائر البجع لكي يُطعم بها فراخه.**

هنا، طار **طائر البجع** إلى المركب الصغير وأخذ العنكبوت البحري وعاد إلى فراخه ليُطعمها.

فيا لفرحة هذا **الكلب الذكيّ** حين رأى الفراخ الصغيرة فرحانة بالطعام الذي أتاها، فرفرفت بأجنحتها، وأكلت الطعام بفرحٍ وسرور.

ما هي إلَّا لحظات وعاد **طائر البجع** ليرد الجميل **للكلب الوفيّ**: لقد عاد وفي منقاره الكبير عدة أسماك صغيرة مما استطاع أنْ يصطادها،ثمَّ ألقاها في المركب أمام **الكلب الصغير**. نظر إليه **الكلب** نظرة خجلة، وهزَّ ذيله تعبيرًا عن امتنانه لهذا الكَرَم من **البجع**.

هنا انتبه الصياد لما يجري وجاء لينظر إلى **الكلب** والهديَّة التي حصل عليها. فَهِمَ الصياد ما كان، ورَبَّتَ على ظهرِ **الكلب الصغير الوفيّ**، وفرح لأنَّهُ تعلَّم الدرس.

وما هو الدرس؟

تَعَلَّمَ أنَّ العطاء جزءٌ لا يتجزأ من منظومة الحياة التي نحياها. فهو بابٌ للسعادة والرِّضا في هذه الحياة؛ يملأ القلب سرورًا، والفكر هدوءًا والعقل فهمًا ووعيًا، وهو سرٌّ من أسرار الحياة. فقد قال أحد فلاسفة زمانه: **إنَّ قِمَّة السعادة تكون في العطاء وليس في الأخذ**. وبالإجمال، قد صدق الكتاب المقدس حين قال: «فِي كُلِّ شَيْءٍ أَرَيْتُكُمْ أَنَّهُ هكَذَا يَنْبَغِي أَنَّكُمْ تَتْعَبُونَ وَتَعْضُدُونَ الضُّعَفَاءَ، مُتَذَكِّرِينَ كَلِمَاتِ الرَّبِّ يَسُوعَ أَنَّهُ قَالَ: مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الأَخْذِ» (أع٢٠: ٣٥).

✝ ✝ ✝ ✝ ✝ ✝ ✝

✝ «هَاتُوا جَمِيعَ الْعُشُورِ إِلَى الْخَزْنَةِ لِيَكُونَ فِي بَيْتِي طَعَامٌ وَجَرِّبُونِي بِهَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ إِنْ كُنْتُ لاَ أَفْتَحُ لَكُمْ كُوى السَّمَاوَاتِ وَأُفِيضُ عَلَيْكُمْ بَرَكَةً حَتَّى لاَ تُوسَعَ. وَأَنْتَهِرُ مِنْ أَجْلِكُمُ الآكِلَ فَلاَ يُفْسِدُ لَكُمْ ثَمَرَ الأَرْضِ وَلاَ يُعْقَرُ لَكُمُ الْكَرْمُ فِي الْحَقْلِ قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ. وَيُطَوِّبُكُمْ كُلُّ الأُمَمِ لأَنَّكُمْ تَكُونُونَ أَرْضَ مَسَرَّةٍ قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ.» (ملا٣: ١٠-١٢).

✝ «غَيْرَ أَنَّكُمْ فَعَلْتُمْ حَسَناً إِذِ اشْتَرَكْتُمْ فِي ضِيقَتِي. وَأَنْتُمْ أَيْضاً تَعْلَمُونَ أَيُّهَا الْفِيلِبِّيُّونَ أَنَّهُ فِي بَدَاءَةِ الإِنْجِيلِ، لَمَّا خَرَجْتُ مِنْ مَكِدُونِيَّةَ، لَمْ تُشَارِكْنِي كَنِيسَةٌ وَاحِدَةٌ فِي حِسَابِ الْعَطَاءِ وَالأَخْذِ إِلاَّ أَنْتُمْ وَحْدَكُمْ. فَإِنَّكُمْ فِي تَسَالُونِيكِي أَيْضاً أَرْسَلْتُمْ إِلَيَّ مَرَّةً وَمَرَّتَيْنِ لِحَاجَتِي. لَيْسَ أَنِّي أَطْلُبُ الْعَطِيَّةَ، بَلْ أَطْلُبُ الثَّمَرَ الْمُتَكَاثِرَ لِحِسَابِكُمْ. وَلَكِنِّي قَدِ اسْتَوْفَيْتُ كُلَّ شَيْءٍ وَاسْتَفْضَلْتُ. قَدِ امْتَلأْتُ إِذْ قَبِلْتُ مِنْ أَبَفْرُودِتُسَ الأَشْيَاءَ الَّتِي مِنْ عِنْدِكُمْ، نَسِيمَ رَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ، ذَبِيحَةً مَقْبُولَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ. فَيَمْلأُ إِلهِي كُلَّ احْتِيَاجِكُمْ بِحَسَبِ غِنَاهُ فِي الْمَجْدِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ. وَلِلَّهِ وَأَبِينَا الْمَجْدُ إِلَى دَهْرِ الدَّاهِرِينَ. آمِينَ.» (فيلبي ٤: ١٤-٢٠).

الجبل المقدّس آثوس.

دير الإيفيرون العامر للرّوم الأرثوذكس :

يقع **الدير شمال شرق شبه جزيرة آثوس**، ويبعد عن **كارييس** ساعة ونصفًا سيرًا على الأقدام. **الدير** مكرَّس **لرقاد والدة الإله**. ومنذ العام **١٩٩٠**، يتبع الرهبان في الدير **النظام الشركوي** بعد تقلبات عدّة بين النظام الشركوي والإيديوريتمي (**الإيديوريتمي كل ناسك يكون مستقل**).

تأسَّس **دير الأيفيرون** بين عامي **٩٧٩** و**٩٨٠** – في موقع الدير القديم المسمَّى كليمينتوس، والذي كُرِّس **للسابق المجيد القديس يوحنا المعمدان**، – على يدِ أعضاء من عائلة تورنيكي الأرستقراطيَّة الأيبيريَّة العظيمة: يوحنا الأيبيري، وابنه أفثيميوس، **وتورنيكيس (باتريكيوس)**، الذي أصبح قائدًا لمجموعة من الرهبان الجورجيِّين النساك حوالي عام ٩٦٣ بالقرب من تواجد **القديس أثناسيوس الآثوسي في جبل آثوس**. كافأ **الإمبراطور باسيليوس الثاني المكدوني تورنيكيس (الذي أصبح لاحقًا الراهب يوحنا)** على المساهمة الجوهريَّة التي بذلها في هزيمة الجنرال المتمرد في الشرق، **بارداس سكليروس**، في عام **٩٧٩**، بمكافآت سخيَّة، كما استجاب لطلبه ببناء دير على **جبل آثوس**.

عُرِفَ **القدّيسان يوحنا وأفثيميوس بفضائلهما العظيمة**، وبأنهما رَسُولا البلاد الجورجيَّة (الإيبيريَّة). وقد ترهَّب العديد من الرهبان الجورجيِّين في **دير الأيفيرون**، الذي كان المقرَّ الرُّوحي للبلاد الجورجيَّة. وأُلحق به عددٌ من الأديرة، مثل **دير ليونتيوس** في تسالونيكي، **ودير يوحنا كولوفوس** في إيبريسوس، **ودير القديس سابا** في خالدوس، وغيرها.

في **منتصف القرن الرابع عشر**، انتهى رسميًّا وجود الرهبان الجورجيِّين في قيادة زمام أمور الدير، والذين كانوا أقليَّة منذ **القرن الثاني عشر**. وبموجب **الختم البطريركي للبطريرك كاليستوس الأول في عامي ١٣٥٥ م و ١٣٥٦م**، انتقلت إدارة الدير وأيضًا شعائر الخدمة في الكنيسة المركزيَّة الكاثوليكون إلى الرهبان اليونانيِّين.

عانى الدير، كمعظم الأديرة في الجبل، من **هجمات القراصنة والأتراك**. وقد تعرَّضت بعض مبانيه للحرق، إلَّا أنَّ دعم **الأباطرة البيزنطيِّين الرُّوم، والأمراء الصربيِّين، والجورجيِّين** أسهم في إعادة بنائه خلال فترات الضيق المالي.

معالم الدير:

كاثوليكون الدير بدأ إنشاؤه في **أواخر القرن العاشر**، وتم تعديله في **القرن الحادي عشر**، ثم أُعيد إعمارُه في **عام ١٥١٣م**. وقد رُسمت الحائطيات بين **القرنين السادس عشر والتاسع عشر الميلاديَّين**. ويوجد مقابل الكاثوليكون حوضٌ لتقديس المياه.

إلى شمال الكاثوليكون توجد **كنيسة البورتايتيسا** *(Portaitissa)* حيث توجد **أيقونة البورتايتيسا المشهورة** التي سنأتي على ذكرها لاحقًا.

في **الدير ١٦** كنيسة صغيرة أهمّها **كنيسة البورتايتيسا** التي شُيِّدت عام **١٦٨٠م** ، **وكنيسة القديس يوحنا المعمدان** التي شيّدت في العام **١٧١٠م**. وهناك **١٠** كنائس أخرى خارج محيط **الدير** تابعة له.

يحتوي الدير على العديد من الكنوز، منها ذخائر قدّيسين، وثياب ليتورجيَّة مُطرّزة، بالإضافة إلى شجرة ليمون مصنوعة من الفضة تحمل سبعة مصابيح على شكل أغصان، داخل **متحف الدير المميّز والفريد**.

تقع مكتبة الدير إلى يمين الكاثوليكون، وتضم أكثر من ٢٥٠٠ مخطوطة، **ومخطوطات جورجيَّة مهمة**، و١٥ دُرْجًا تحتوي على نصوص الخدم الليتورجيَّة، بالإضافة إلى ما يزيد عن ٢٠,٠٠٠ كتاب مطبوع. وخريسوبولوس إمبراطوريَّة (خريسوبولوس: هي وثيقة عامة رسميَّة أو مرسوم يحمل ختمًا ذهبيًّا على شريط الحرير الذي يرافقه، مما يؤكِّد صحة المرسوم.)، وأيضًا: وثائق بيزنطيَّة روميَّة وما بعد البيزنطيَّة.

تابعٌ **للدير إسقيط القدّيس يوحنا المعمدان** و٢٦ قلَّاية في كارييس وعدد صغير من الكاتسماطات.

ترتبط مشاركة الدير **في الثورة ضد العثمانيين** عام **١٨٢١م** بالشخصيَّة النشطة **لنيكيفوروس الأفوريتي**، حامل ملف المقاومة، الذي كان مُرتبطًا **بدوائر الجمعيَّة الوديَّة**، وخاصة مع **إيمانويل باباس**، وتمَّ تعيينه أثناء أحداث الحرب كرئيس للدير. «**قائد وقاضي الجبل المقدس**»، بينما بقي **بطريرك القسطنطينية والشهيد في الكهنة غريغوريوس الخامس في المنفى** داخل حدود الدير. (**إيمانويل باباس** (ولد سنة **١٧٧٢** – رقد بالرَّبِّ في **٥** ديسمبر **١٨٢١** في جزيرة إيدرا)، كان تاجرًا ومصرفيًّا يونانيًّا وعضوًا في «**فيليكي إيتيريا – الجمعيَّة الوديَّة**» وهي المنظمة الأهم من بين المنظمات السريَّة التي تشكلت استعدادًا لثورة **١٨٢١**، من أجل تحرير اليونان واليونانيِّين من الهيمنة العثمانيَّة»، وقد كان زعيم الثورة اليونانية عام **١٨٢١١**. ورائدًا للانتفاضة في خالكيديكي، وأحد أنقى وأعظم الشخصيات البطوليَّة في نضال الاستقلال. في **١٧** مايو **١٨٢١**، أعلن الثورة المقدونيَّة باعتباره «زعيمًا ومدافعًا عن مقدونيا».).

تمثال نصفي لإيمانويل باباس في أثينا

أيقونةالبورتايتيسا: تعود هذه الأيقونة إلى زمن **الملك ثاوفيلس، المحارب للأيقونات** في القرن التاسع. الذي اضطهد المؤمنين بعنف، فكان يُرسل الجنود إلى المدن والقرى ليفتشوا الكنائس والمنازل وينزعوا **الأيقونات المقدسة** ويحرقوها بالنار. وكان في مدينة نيقية، في بيثينية (**آسيا الصغرى**)، أرملة تقيَّة وغنيَّة جدًّا، لها ابن وحيد. قامت هذه الأرملة ببناء كنيسة بالقرب من منزلها، ووضعَت هذه الأيقونة فيها.

وصول الأيقونة من آسيا الصغرى إلى جبل آثوس

وصلت حملة الاضطهاد إلى نيقية، فداهم الجنود بيت الأرملة. وحين رأوا الأيقونة، ابتهجوا وسعوا لابتزازها بالمال، مهددينها بالتعذيب وتحطيم الأيقونة. ناشدت الأرملة بإعطائها مهلة حتى اليوم التالي، فوافق الجنود وانصرفوا من منزلها. وعلى الفور، دخلت الكنيسة مع ابنها وبدأت تتضرَّع بخشوع ودموع **لوالدة الإله** لتخرجها من المأزق. ثم نهضت وأخذت الأيقونة وانطلقت مع ابنها إلى الشاطئ. هناك صَلَّت ثانية متوسلة إلى **السيِّدة العذراء** كي تُنجيهم من الجنود الكفرة وتحفظ الأيقونة سالمة. ثم ألقَت الأيقونة في البحر، فسارت منتصبة على وجه الماء باتجاه **جبل آثوس**. عادت الأرملة إلى منزلها **ممجدَّة الله**، وطلبت من ابنها أن يسافر بعيدًا عن مدينته هربًا من الجنود. أما هي فستظل ثابتة لأنها مستعدة لتَحَمُّل العذاب من أجل **المسيح**. ودَّع كل منهما الآخر وافترقا.

انطلق انطلق الشاب إلى مدينة تسالونيكي، ومن هناك اتجه إلى **جبل آثوس** حيث ترَّهب في المكان الذي سوف يُشَاد فيه لاحقًا **دير الإيفيرون**. هناك عاش بتقوى وأمانة **للرَّبِّ يسوع**. أثناء حياته، **قصَّ هذا الخبر على أحد إخوته الرهبان، فُدُوِّنت هذه الحادثة**. وبعد مرور سنواتٍ عديدة جدًّا، في عام ١٠٠٤م، يوم الثلاثاء من **الأسبوع العظيم**، كان بعض الرهبان من **دير الإيفيرون** جالسين على شاطئ البحر. فجأةً، ظهر لهم عمود نار في البحر. ومع مرور الوقت، تبيَّن أنَّ هذا العمود الناري كان نورًا مرتفعًا من أيقونة منتصبة على سطح البحر. أسرع الرهبان نحو هذا المظهر الغريب والرهيب، وكلما حاولوا الاقتراب منها، كانت الأيقونة تبتعد عنهم. في الوقت نفسه، ظهرت **السيِّدة العذراء** لراهب ناسك اسمه جبرائيل (**يُعيَّد له في ١٣ أيار**)، **أفصحت له سرَّ هذه الأيقونة** وطلبت منه أن يذهب إلى البحر ليأخذها وحده. أخبر الراهب رئيس الدير بأمر تلك الرؤيا. ثم ذهب مع باقي الإخوة إلى شاطئ البحر رافعين الصلوات والابتهالات. هناك، نزل الناسك إلى الماء وأخذ الأيقونة بذراعيهِ ومشى على سطح البحر كأنه على اليابسة، وحملها معه إلى البر (الشاطئ). وفي تلك النقطة بالذات، انفجر ينبوع التقديس (ينبوع الماء المقدس)، ومن هناك تمَّ نقل الأيقونة إلى هيكل كنيسة الدير الكبرى. (**هذا الينبوع المقدَّس ما يزال يتدفق بلا انقطاع إلى يومنا هذا، ويقدس الذين يأتون إليه بالإيمان**) .

بعدَ نَقْلِ الأيقونةِ رَسْمِيًّا في مَوْكَبٍ مهيبٍ إلى كَاثُولِيكُونِ الديرِ (الكنيسةِ المركزيةِ)، أَوْدَعَها الرُّهْبَانُ في مَزَارٍ خَاصٍّ. في اليوم التالي، وُجدت الأيقونة المقدسة عند باب الدير بطريقة غامضة. فأعادها الرهبان إلى مزارها، ولكن نفس الشيء تكرَّر ثلاث مرات. ثم ظهرت **العذراء مريم** مرة أخرى **للقديس جبرائيل** وقالت له ألَّا يبعدها عن الباب لأنها لم تأتِ لكي **تُحرَس، بل لتَحْرُسَ ذلك الدير والجبل المقدَّس بأكمله**. ثم بنوا الكنيسة (البراكليسي) المعروفة قرب الباب، ووضعوا الأيقونة المقدسة العجائبيَّة فيها، حسب إرادتها، التي سُميت لهذا السبب **بالبورتايتيسا**، لتبقى هناك في مكانها الذي أرادته، وألَّا تُخرَج عن حدود الدير أبدًا. ومنذ ذلك الحين، تدفقت بركاتها بغزارة كمواهب روحيَّة متنوعة ودعم متواصل لجميع احتياجات الدير والجبل المقدس بأكمله، ولجميع الحجاج المؤمنين الذين يتدفقون يوميًّا إلى كنيستها.

لقد انتشرت **نعمة سيِّدة بورتايتيسا** في جميع أنحاء العالم. هناك عددٌ لا يُحصى من نُسخ أيقونتها التي يتمّ تكريمها في كل مكان، وكذلك العديد من الهياكل والأديرة التي تمَّ تخصيصها باسمها. ومع ذلك، تحظى النسخة المرسومة **للسيِّدة العذراء مريم بورتايتيسا**، التي نُقلت إلى روسيا في عام ١٦٤٨، بشهرة كبيرة في قلب الأراضي الروسيَّة الواسعة. تقع الأيقونة عند مدخل الساحة الحمراء في وسط موسكو، حيث يتوافد إليها الآلاف من الحجاج المتدينين من مختلف الأماكن، ليحصلوا على بركة **والدة الإله** التي تملأ قلوبهم الحزينة.

بربروس:

إنَّ المعجزات والأشفية التي تمَّت بفضل هذه الأيقونة لا تُحصى، وأبرز دليل على ذلك هو أثر الجرح الظاهر على **ذقن والدة الإله في الأيقونة**.

أمَّا قصة هذا الجرح فهي كالتالي: في أحد الأيام، **تآمرت مجموعة من اللصوص البرابرة لغزو الجبل المقدس** والاستيلاء على كنوزه. وصلوا إلى

دير إيفيرون ونهبوا كنوزه وقتلوا عددًا كبيرًا من الرهبان. وكان زعيمهم، الذي يُدعى «**راحي أو راجي، باليونانيَّة Ραχάι**»، ممتلئًا بالشرِّ. فشخص إلى الأيقونة المقدسة بازدراء، قائلًا: «ألستم تكرمون هذه المرأة مع ولدها؟ فَلِمَاذَا لَمْ تَتَدَخَّلْ لِمُسَاعَدَتِكُمْ؟» ثمَّ أمسك برمحه وصوَّبَهُ نحو الأيقونة، فأصاب **ذقن السيِّدة العذراء**. في الحال، ظهرت معجزة إلهيَّة، إذ تدفق الدم من الأيقونة المرسومة على الخشب.

فزع ذلك البربري وصُعِقَ مما رآه، فخاف خوفًا شديدًا وآمن بقدرة السيِّد **المسيح وأمه**. فسقط فورًا أمام الرهبان تائبًا، وأعاد كل ما سرقه من الدير. ثم أخرج من جيبه دينارًا عربيًّا ووضعه أمام الأيقونة، وهو موجود حتى الآن. وطلب من الرهبان الباقين أن يقبلوا توبته، فقبلوها بفرح. وبعد أنْ أظهرَ توبة صادقة، قبل **المعمودية المقدسة** وتوشَّح بالإسكيم الرهباني. وأطلقوا عليه اسم «**دمشقي**»، لكنه قال لهم: «أنا بربري، وأرجو أن يبقى اسمي بربري، لأنه لا يليق بي أن آخذ اسم أحد القديسين.» فصار اسمه «**بربروس**». وواصل حياته الرهبانيَّة بجِدٍّ وتعب حتى أصبح قديسًا من قديسي الكنيسة.

في روسيا:

عام **١٦٥١م**، وقع **الدير** في ضيقة ماليَّة، وابتدأ الرهبان يتضرَّعون **لوالدة الإله** لكي تساعدهم على الاستمرار في حياتهم الدينيَّة وفي عملهم في الدير. **فظهرت لأحد الرهبان وقالت له:«إذا أنتم اهتممتم بخلاص نفوسكم فأنا أهتم بأموركم الماديَّة».**

وكانت **ابنة القيصر في روسيا** تعاني شللًا من الخصر إلى أسفل، وقد أتفق الأطباء على استحالة شفائها، مؤكدين أنها ستظل على هذه الحالة طوال حياتها. ظهرت **والدة الإله لهذه الأميرة** وأخبرتها بأنها ستُشفى إذا جلبت **أيقونتها «بورتايتيسا» من دير الإيفيرون الواقع في جبل آثوس.** وفي اليوم التالي، **أرسل القيصر الروسي وفدًا إلى القسطنطينيَّة** للحصول على الأيقونة. **أُخطر الدير بطلب القيصر**، لكن الرهبان خافوا أنَّ الأيقونة، إذا أُرسلت إلى روسيا، قد لا تعود أبدًا. فاجتمع شيوخ الدير وقرَّروا إرسال نسخة من الأيقونة بدلًا من الأصل. جرى تقديس المياه، ثم غُطّست الخشبة التي ستُرسم عليها في المياه المقدّسة. طُحنت بعضٌ من ذخائر القديسين ومُزجت مع الألوان المُستخدمة في رسم الأيقونة. أمَّا الرسام، فقد التزم بالصيام طوال فترة عمله على الأيقونة، مكتفيًا بالأكل يومي السبت والأحد فقط.

انتهى رسم الأيقونة، فتمَّ إرسالها إلى روسيا برفقة عدد من رهبان الدير. وفي ١٣ من تشرين الأول، وصلت إلى هناك حيث استقبلها **القيصر الروسي وزوجته** مع عدد من **رجال الإكليروس** والشعب، وكانوا صائمين في انتظار وصولها. في تلك الأثناء، بقيت الأميرة في القصر، وطلبت رؤية والدتها. فأجابتها المربية بأنها ذهبت لإحضار الأيقونة التي ستشفيها. فانتفضت الأميرة بغضب وتأفُّف من سريرها، ارتدت ملابسها وهرعت إلى حيث كان والداها يستقبلان الأيقونة، فعاتبتهما قائلة: «**تذهبون لاستقبال والدة الإله التي ستشفيني من دوني؟!**» وَفِي

وَسَطِ هَذَا كُلِّهِ، لم تُدرك الأميرة أنها قد شُفيت حتى وصلت إلى مكان الاستقبال، حيث فوجئ بها والداها والحضور. **فمجَّدوا الله ووالدة الإله على هذه المعجزة.** وبعد ذلك، قدَّم القيصر **دير القديس نيقولاوس** في العاصمة الروسيَّة **لدير الإيفيرون**، بالإضافة إلى هبات ثمينة أخرى.

تُحفظ صورة هذه الأيقونة حاليًّا في كنيسة القيامة في موسكو.

العامل الفقير:

يُحكى أنَّ عاملًا فقيرًا جائعًا طرق باب الدير طلبًا للطعام، إلَّا أنَّ بواب الدير رفض أنْ يعطيه شيئًا. فغادر العامل الدير متوجهًا إلى كاريس، وهو حزين، مفكرًا في حاله. وفي الطريق، جلس ليستريح قليلًا تحت ظل شجرة كبيرة. فجأة، اقتربت منه **امرأة تحمل طفلًا** على ذراعها، وسألته عن سبب تعاسته. فأخبرها بحاله، فقالت له ألّا يهتم بالبواب، لأنها هي المسؤولة عن بوابة الدير. ثم طلبت منه العودة إلى الدير مجددًا وطلب الخبز باسمها «**بورتايتيسا**»، وإذا رفض الراهب، عليه أن يُعطيه قطعة نقود ستسلمها له. على الفور، ناولتْهُ قِطْعَةً نُقْدِيَّةً، ولم يدرك العاملُ أنَّ من اقتربت منه لم تكن سوى **والدة الإله**. فذهب كما أمرته، وقَرَعَ باب الدير. وعندما فتح البواب، طلب منه العاملُ خبزًا باسم «**البورتايتيسا**»، وعندما رفض، قدّم له القطعة النقديَّة. نظر البواب إلى القطعة بدهشة، وشعر بالخوف، ثم دخل مسرعًا إلى الدير وقرع الناقوس. وعندما اجتمع الرهبان، أراهم القطعة التي كانت، في الواقع، القطعة المعلَّقة على غطاء أيقونة البوابة، والتي أخذتها **والدة الإله** لتعين هذا الفقير، لتُنبِّهَ الرُّهْبَانَ إلى أهمية التَّصَدُّقِ على المحتاجين. ومنذ ذلك الحين، أصبح **دير الإيفيرون** معروفًا بإحسانه وسخائه اللامحدودِينَ.

أيقونة البوابة حامية جبل آثوس:

خلال الحرب بين روسيا وتركيا، عمّت المخاوف والاضطرابات في **الجبل المقدس**، وهرب الكثير من الرهبان، فانخفض عددهم من أربعين ألفًا إلى حوالي ألف في القرن التاسع عشر. وبينما فكّر المتبقّون بالفرار، ظهرت العذراء لبعض الآباء وسكان البراري، مطمئنةً إياهم بأن الأخطار ستزول، والجبل سيعود للازدهار. أكّدت لهم قائلة: «طالما أيقونتي البوابة في دير إيفيرون، فلا تخافوا وعيشوا بسلام. ولكن إن اختفت الأيقونة، فحينها خذوا أغراضكم وارحلوا.»

ما زال **دير إيفيرون** متمسِّكًا بتقليده المستمر منذ وصول **الأيقونة** إلى الدير، حيث يُقام لها **زيَّاح (ليتانيَّة)** سنوي. يتم هذا الاحتفال في يوم الثلاثاء من أسبوع التجديدات، وهو ثالث أيام **الفصح**. وفي هذا اليوم، يُشارك رهبان **دير إيفيرون**، بالإضافة إلى عدد كبير من رهبان أديار الجبل المقدس، في زياح مهيب تُوضع فيه الأيقونة تحت غطاء مذهب ومرصَّع بالجواهر الثمينة، كان قد قدَّمه **القيصر الروسي** بعد شفاء ابنته المشلولة **بمعونة العذراء**. **ويُصادف هذا اليوم نفس التاريخ الذي وصلت فيه الأيقونة إلى الدير عن طريق البحر من نيقية في آسيا الصغرى.**

Σπάνιο κειμήλιο της Ιεράς Μονής Ιβήρων

ذخائر مقدَّسة نادرة ـ دير إيڤيرون العامر والمقدَّس

هامة القديس الشهيد الجديد نيكيتاس من نيسيروس (يسارًا) والقديس إيروثيوس الإيبيري (إيفيرون) (يمينًا).

الرِجل المقدَّسة
للقديسة فوتيني السامريَّة

اليد اليسرى المقدَّسة للقديس باسيليوس الكبير

1 يدُ القديسِ باسيليوس الكبيرِ اليسرى،
2 هامةُ القديسِ غريغوريوس النيصصي،
3 وقدَمُ القديسةِ ماكرينا اليسرى (وهم الإخوة الثلاثة)

أكثر من ١٥٠ ذخيرة، متواجدة بالدير منها: للقديس الجليل إيروثيوس الإيبيري، والقديس الشهيد العظيم ديمتريوس، والقديس أرسانيوس الكبادوكي، والقديس غريغوريوس النيصي، والقديس الرسول فيليبوس، والقديس خارالامبوس، والقديس الشهيد الجديد قسطنطين من هيدرا، والطيب من قبر القديس نيكولا س، الخ.

رفات القديس العظيم الشهيد ميركوري، والقديس الشهيد في الكهنة خارالامبوس، والقديس ليونتيوس، والقديس الشهيد في الكهنة موديستوس.

يوجد في الدير قطعة من خشبة الصليب المقدَّس، وقطعة من العمود الذي جُلِدَ عليه الرب يسوع المسيح، والعباءة (الثوب)، وقطعة من القصبة، والإسفنجة التي كانت مملوءة بالخل، وهي الأدوات التي شاركت في آلام الرب الطاهرة والخلاصية

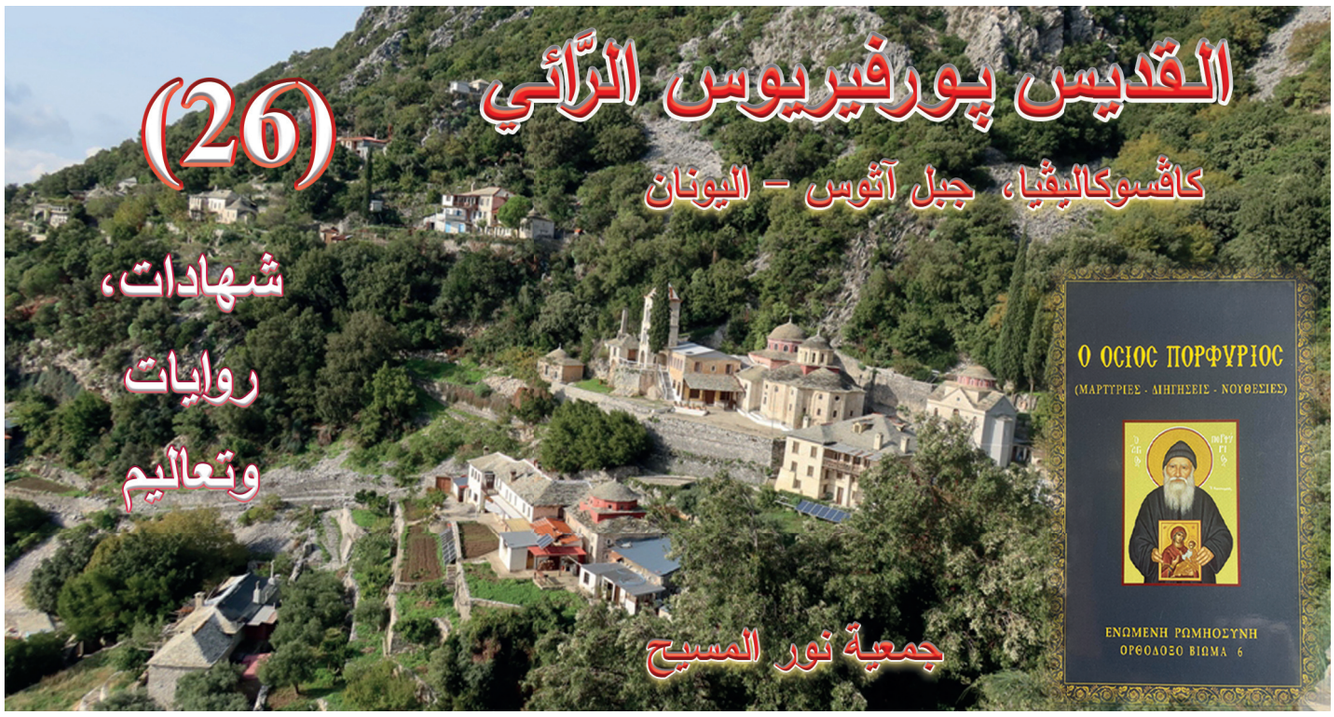

٨ – أَقَلُّ ما يُمكن عن القديس پورڤيريوس:

شهادة السيِّدة سوتيراس نوسي: تتمة

✝ قالت لي إحدى صديقاتي: «بما أنَّكِ تعرفين الشيخ جيِّدًا، فلنزره في أحد الأيام، وسيكون أخي برفقتي حتى يُصلِّي له، لأنه يعاني من مشاكل صحيَّة.» بالطبع، وافقتها على الفور، وذهبنا معًا لزيارته. بعد أن أمضينا بعض الوقت معه نحن الثلاثة، وشرحتُ له الأمر، تركناه مع الشاب بمفرده ليتمكَّنا من الحديث بحريَّة أكبر. وفي النهاية، أنهينا الزيارة وغادرنا.

في طريق العودة، لاحظتُ أن الشاب كان جادًا وصامتًا. ورغم فضولي، قررتُ أن أتحلى بالتعقل وألَّا أسأله عمَّا دار بينه وبين الشيخ.

– في وقتٍ متأخر من المساء، اتصلت بي صديقتي، أخت الشاب، وقالت: «بالحقيقة، هذا الشيخ قدِّيس. عندما أخبره أخي عن مشكلته في المعدة، وضع يده على الموضع الذي أشار إليه وقال له»:« لا يوجد لديك مشكلة هنا. اذهب غدًا إلى طبيب مختصٍّ بالمسالك البوليَّة. سأخبرك إلى أين تذهب، لأنك تعاني من مشكلة في أعضائك التناسليَّة. إذا لم تُعالَج حالتك، قد تُصبح عاجزًا عن إنجاب الأطفال في المستقبل عندما تتزوج.»

لهذا السبب كان الشاب صامتًا ومفكِّرًا طوال الطريق؛ فقد كان غارقًا في أفكاره. وبالفعل، كما أخبره الشيخ، حدث ما قاله.

✝ في أحد الأيام، وبينما كانت والدتي – التي ترقد بين يدي الله اليوم – تنتقل من غرفة إلى أخرى في المنزل، تعثَّرت وسقطت أرضًا. لحسن الحظ، لم تُكسر أي من عظامها، وتمكنت من النهوض والمشي كالمعتاد.

في تلك الليلة، وفي وقتٍ متأخر، تلقيت اتصالًا من الشيخ. كان أول ما قاله لي: «كيف حال والدتك؟» فأجبته: «إنها بخير، لكنها سقطت منذ وقتٍ قليل، ولحسن الحظ لم تُصب بأذى.» لكنه قاطعني بحزم وقال: «لا، لقد تعرَّضت لجلطة دماغية. عليكِ أن تأخذيها إلى الطبيب غدًا.»

أخبرتُ أخي الذي كان يُقيم قريبًا منا بما قاله الشيخ. وفي صباح اليوم التالي، أخذناها إلى الطبيب. كانت لا تزال قادرة على المشي عند وصولنا. لكن عندما استلقت على السرير لإجراء الفحوصات اللازمة، ظهرت أعراض الشلل في جميع أطرافها من الناحية اليسرى.

بقيت والدتي في المستشفى لتلقي العلاج، وفي اليوم التالي، عاينها الطبيب المسؤول عن حالتها، وهو أحد معارفي، وقال لي: «للأسف، ستحتاج إلى البقاء في المستشفى لعدة أيام أخرى. لقد قمنا بكل ما يمكننا القيام به، لكن حالتها تتطلب إجراء فحوصات طبيَّة إضافيَّة لفهم وضعها بشكل أدق.»

– في اليوم التالي إتصل بي الشيخ وقال: «أَخْرِجُوا والدتك من المستشفى حالًا وسريعًا، سيُميتونَها !»؛ فقلتُ له: «أيُّها الشيخ: الطبيب جيِّد، وهو من معارفي، وقال لي أنَّهم سَيُبقونها في المستوصف لإجراءِ المزيد من الفحوصات الطبيَّة!». لكنه أجابني بطريقة بدت مُزعجة بعض الشيء: «اسمعي ما أقول لكِ: ستموت على أيديهم إن لم تُخرجيها من هناك!» عندها فقلتُ له:« أخبرني، ماذا عليَّ أن أقول للطبيب؟ ما الذي يتوجب عليه فعله؟». فأجابني: «المشكلة هي أن لديها مشكلة في الأمعاء الغليظة (القولون الصاعد)، وهم يعطونها أدوية معاكسة لحالتها.»

في اليوم التالي، قابلت الطبيب وقلت له: «أيها السيِّد، أحد أقاربي هو طبيب مختص، وقد حذرني وقال لي: يجب أن تنتبهوا لهذا الموضع في القولون الصاعد، لأن المشكلة هناك. »

استمع الطبيب لي وهو يفكر، ثم قال: «بالأمس تأكَّدت من هذه المشكلة، وقمت بتغيير الأدوية. لكن يجب أن تبقى لعدة أيام أخرى.»

وبالفعل، بقيت في المستشفى لبعض الوقت، وبعد يومين أخرجناها منها. ثم اتصلنا بالشيخ لإبلاغه. فأجابني قائلًا: «الشكر لله، كي تعيش لعدة سنوات أخرى، وتكون لكِ شريكة درب ومعينة.»

– بعد خمس سنوات، اتصل بي الشيخ في أحد الأيام وقال: «هذا الأسبوع، لا تذهبي إلى أي مكان، لأن والدتك ستفارق الحياة.» وبالفعل، حدث ما قاله.

الإصحاح الرابع

العظة الرابعة عشرة: (١كو٤: ١٧-٢١)

«لِذلِكَ أَرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ تِيمُوثَاوُسَ، الَّذِي هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ وَالأَمِينُ فِي الرَّبِّ، الَّذِي يُذَكِّرُكُمْ بِطُرُقِي فِي الْمَسِيحِ كَمَا أُعَلِّمُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، فِي كُلِّ كَنِيسَةٍ.» (١كو ٤: ١٧).

١- أرجو أنْ تلاحظَ هنا أيضًا، مدى نُبْلِ هذه النفس، والتي هي أكثر دفئًا وحرارة من النار. لقد أرادَ أن يذهب إلى أهلِ كورنثوس بنفسه، وهم الذين عانوا من مرضٍ شديد وتحزُّب، لأنهم عرفوا وبكُلِّ وضوح، كيف أنَّ حضوره نافعٌ للتلاميذ وأنَّ غيابه هو أمرٌ ضار. ومن حيث أنَّ حضوره مُفيدٌ للتلاميذ، فهذا قد أوضحه في رسالته إلى فيلبي، بقوله: «إِذًا يَا أَحِبَّائِي، كَمَا أَطَعْتُمْ كُلَّ حِينٍ، لَيْسَ كَمَا فِي حُضُورِي فَقَطْ، بَلِ الآنَ بِالأَوْلَى جِدًّا فِي غِيَابِي، تَمِّمُوا خَلاَصَكُمْ بِخَوْفٍ وَرِعْدَةٍ،» (فيلبي ٢: ١٢). أمَّا الأمر الثاني المتعلِّق بمدى الضرر الناتج عن غيابه، فقد أظهره في هذه الرسالة، بقوله: «فَانْتَفَخَ قَوْمٌ كَأَنِّي لَسْتُ آتِيًا إِلَيْكُمْ.» (١كو٤: ١٨). إذن كان متعجِّلًا، وكان يشتهي أنْ يذهبَ هو نفسه إليهم. إلَّا أنَّ ذلك لم يكن ممكنًا آنذاك، فقد حاوَلَ أن يُصلحهم، على وعدٍ بحضوره، وليس هذا فقط، بل أيضًا بإرساله تلميذه **تيموثاوس**.

يقول: «لِذلِكَ أَرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ تِيمُوثَاوُسَ» (١كو٤: ١٧). ماذا يقصد بقوله: «**لِذلِكَ**»؟ يقصد - كما يقول - إنَّني اهتمُّ بكم كأولادي، لأنَّني ولدتكم في **المسيح يسوع**. لقد أرسَلَ تلميذه (تيموثاوس)، الذي في نفس الوقتِ ، يُمثِّل شخصه. «الَّذِي هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ وَالأَمِينُ فِي الرَّبِّ». قال هذا لكي يوضِح مدى محبَّته لتيموثاوس، وليُحفِّز أهل كورنثوس لاستقباله باحترامٍ وتقدير. ولم يَقُل فقط «**الأَمِينُ**»، بل أضافَ: «**فِي الرَّبِّ**»، أي أنَّه شخصٌ ينتمي إلى **الرَّبِّ**. فإذا كان المرء يُمتَدَح لأمانته في أمور الحياة اليوميَّة، فبالأكثر جدًّا، يُمتَدح إذا كان أمينًا في الحياةِ الروحيَّة. إذًا لو أنَّ **تيموثاوس** هو ابنه الحبيب، فالمقصود هنا هو إظهار مدى محبَّة **الرسول بولس** لهم. إذ أنَّه فضَّلَ أنْ ينفصلَ عنه، لأجلِ خدمتهم. وبما أنَّه ابنٌ أمين، فإنَّه سيخدم في هذا المناخ المُربِك والحَرِج، بطريقة مستقيمة ونقيَّة.

ثمَّ يقول: «الَّذِي يُذَكِّرُكُمْ»، ولم يَقُل: «**الذي يُعلمُكُم**»، حتى لا يَشعروا بالضيق والغضب، لأنَّهم سيتعلَّمون منه. ولذلك قال في نهاية الرسالة: «لأَنَّهُ يَعْمَلُ عَمَلَ الرَّبِّ كَمَا أَنَا أَيْضًا.فَلاَ يَحْتَقِرْهُ أَحَدٌ» (١كو ١٦: ١٠-١١). وهذا يعني، أنَّه لم يكن بين الرُسل أيُّ حسد، بل كان هدف كلٍّ منهم، بناء الكنيسة. ولو كان العامل أقل ممَّا يتطلَّب العمل، فإنَّهم كانوا يتعهدونه بكُلِّ الرِّعاية. ولأجلِ هذا لم يكتَفِ بقوله: «الَّذِي يُذَكِّرُكُمْ»، بل لأنَّه أرادَ أنْ يضبط ويُحجِّم **حسدهم** أكثر - لأنَّ تيموثاوس كان شابًا - أضاف: «الَّذِي يُذَكِّرُكُمْ بِطُرُقِي». وليس **بِطُرُقِ** تيموثاوس، بل بِطُرُقِهِ هو، أي عن طُرُق اهتمامه بهم والأخطار التي تعرَّضَ لها، والعادات والتقاليد المكانيَّة، والشرائع والنُظُم والقوانين الرسوليَّة، وكُلّ الأمور الأخرى. وبعدما قال: «وَنَعْرَى وَنُلْكَمُ وَلَيْسَ لَنَا إِقَامَةٌ» (١كو ٤: ١١)، أوضَحَ لهم أنَّ كُلّ ذلك سيذكِّركم تيموثاوس به. وأيضًا سيذكِّركم **بنواميس المسيح**، حتى ينزعوا **الهرطقات من جذورها**. بعد ذلك، وبعدما تحدَّثَ عن الأمور السامية، أضافَ «فِي الْمَسِيحِ»، ذاكرًا - كما تعوَّدَ - أنَّ كُلَّ شيء هو في **الرَّبِّ**، ويُمهد لما هو جديرٌ بالثقة والتصديق، والذي سيتكلَّم عنه فيما بعد. ولأجلِ هذا إضاف: «مَا أُعَلِّمُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، فِي كُلِّ كَنِيسَةٍ.». أي أنَّني لم أقل لكم شيئًا جديدًا، فما كرزتُ به، قد آمنت به كُلّ الكنائس الأخرى. إنَّه يدعو كُلّ هذا بعبارة: «بِطُرُقِي فِي الْمَسِيحِ»، وليس في كُلِّ ذلك أيُّ شيء إنساني، بل إنَّه قد حقَّقَ كُلّ شيء، **بمعونة المسيح**.

٢- وبعدما تكلَّم بكُلِّ هذا، وبعدما عالج هؤلاء، ولأنَّه كان ينوي أن يتقدَّم في الحديث نحو **إدانة الزاني**، نجده يتحدَّث بكلمات مملوءةٌ بالغضب، دون أنْ يكون هو نفسه قد سيطر عليه هذا الغضب، بل ما أراده فقط، هو أن يُصلِح هؤلاء. وبعدما ترك **الزاني**، تحدَّث مع

الآخرين، لأنَّه لم يرَ أنَّ **الزَّاني** مستحق لسماع كلماته، الأمر الذي نفعله نحنُ أيضًا تُجاه خُدامنا الذين تسبَّبوا لنا في بِضررٍ كبير. وبعدما قال: «أَرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ تِيمُوثَاوُسَ»، وحتى لا يصيروا بسبب هذا، أكثر خمولًا، لاحظ ماذا يقول:

«فَانْتَفَخَ قَوْمٌ كَأَنِّي لَسْتُ آتِيًا إِلَيْكُمْ.» (١كو ٤:١٨).

هنا، هو يدين هؤلاء وأولئك أيضًا، ويُزلزل فكر غيرهم. بمعنى أنَّ **الخطيَّة** جاءت نتيجة **حُبِّ الزعامة** التي انتهزت فرصة غياب المعلِّم، حتى وصلت إلى حَدِّ **الغرور والزَّهو**. لاحظ كيف أنَّه عندما يتوَجَّه نحو الكثيرين، يحاول أن يُثير فيهم الخجل والحياء، أمَّا عندما يتوجَّه نحو المتسبِّبين في الإساءة إلى الكنيسة، فإنَّه يستخدم لهجةً حادَّة جدًّا. أي أنَّه يقول لإولئك: «لَيْسَ لِكَيْ أُخَجِّلَكُمْ أَكْتُبُ بِهذَا» (١كو ٤: ١٤)، بينما لهؤلاء يقول: «فَانْتَفَخَ قَوْمٌ كَأَنِّي لَسْتُ آتِيًا إِلَيْكُمْ.» (١كو ٤:١٨)، مُبيِّنًا أنَّ الإنتفاخ هو دليلٌ على فكرٍ طفولي، لأنَّ الأطفال يكونونَ أكثر تكاسلًا عند غياب المعلِّم، وأنَّ حضوره كافٍ لتصحيحِ الأوضاع.

وكما أنَّ حضور الأسد يجعل جميع الحيوانات تنكمش خوفًا، هكذا حضور **الرسول بولس**، قد جعل أولئك الذين أساءوا إلى الكنيسة، ينكمشونَ، لأجلِ هذا أضافَ أيضًا:

«وَلكِنِّي سَآتِي إِلَيْكُمْ سَرِيعًا إِنْ شَاءَ الرَّبُّ، فَسَأَعْرِفُ لَيْسَ كَلاَمَ الَّذِينَ انْتَفَخُوا بَلْ قُوَّتَهُمْ.» (١كو ٤:١٩).

وقد يعتبر البعض أنَّ هذا الكلام بحدِّ ذاته، هو تهديد، لكن أنْ يَعِدَ هو نفسه بتقديم الدليل على الأعمال التي تَسَبَّبَ فيها أولئك، فهذا يُعتبر من سمات الفكر الواضح المُعلَن، ولأجلِ هذا أضاف: «فَسَأَعْرِفُ لَيْسَ كَلاَمَ الَّذِينَ انْتَفَخُوا بَلْ قُوَّتَهُمْ.»؛ بمعنى أنَّ الانتفاخ لا يعود إلى إنجازاتهم، بل إلى غياب المعلِّم، الأمر الذي يُظهِر فكرًا مملوءًا **بالغرور والكبرياء** لدى هؤلاء. ولذلك بعدما قال: « أَرْسَلْتُ إِلَيْكُمْ تِيمُوثَاوُسَ»، لم يَقُل مباشرَةً، «سَآتِي إِلَيْكُمْ»، بل بعدما أدانهم من قبل بأنَّهم مملوؤن بالإفتخار والانتفاخ، عندئذ يقول لهم: «سَآتِي إِلَيْكُمْ». أي أنَّه، لو كان قد قال هذا الكلام قبل الإدانة، لكان هذا بمثابة دفاع، أي أنَّه لم يكن في وضع مُتَدَنٍّ ولا كان كلامه بمثابة تهديد، بل وفاقد للمصداقيَّة أيضًا. ولكن الآن إذا كان يتكلَّم بهذا بعد الإدانة، فقد جعل كلامه موضع تصديق، بل ومُخيفًا. لاحظ أيضًا يَقينه وشعوره بالسلام، فهو لم يَقُل فقط سآتي، بل قال أيضًا: «إِنْ شَاءَ الرَّبُّ»، ولم يَضَع زَمَنًا مُحَدَّدًا. ولأنَّه لم يَكُن ينوي أن يذهب إليهم سريعًا، ونظرًا لأنَّه يُحدِّد زمنًا لزيارته، فقد أرادَ بذلك أن يجعلهم في تَلَهُّف وتَرَقُّب لانتظارِ هذه الزيارة؛ ولكي لا يُصابوا بإحباط وَيُثَبِّط عزيمتهم، أضافَ «سَآتِي إِلَيْكُمْ سَرِيعًا».

يقول: «فَسَأَعْرِفُ لَيْسَ كَلاَمَ الَّذِينَ انْتَفَخُوا بَلْ قُوَّتَهُمْ.»؛ لم يَقُل سأعرف **حكمتهم**، ولا الآيات التي صنعوها، فماذا قال؟. قال:«لَيْسَ كَلاَمَ الَّذِينَ انْتَفَخُوا» ، وهو يلوم ذلك **(الزاني)** من خلال الكلمة التي استخدمها، بينما هنا يعفو عنه. فهو يتوَجَّه أولًا للآخرين الذين تغاضوا عمَّا فعله **الزاني**، لأنَّه لو كان قد توجَّه نحو **الزاني**، ما كان له أنْ يذكرَ القوَّة، بل يذكر أعماله التي كانت تتصف بالبذاءة. ولماذا لم يطلب أنْ يتكلَّم؟ لا لأنَّه محروم من قوَّة الكلام، بل لأنَّ إيماننا هو قوَّة. تمامًا مثلما يحدث في الحرب، فالانتصار ليس هو عمل أولئك الذين يتكلَّمون كثيرًا، بل عمل الذين يفعلون الكثير، هكذا هنا أيضًا، الانتصار لا يرجع لأولئك الذين يتكلَّمون، بل الذين يعملون. وقد يقول البعض فلنفتخر بفصاحتك، ولكن إن كان الوقت هو وقت تنافس الخُطباء، فيكون من المُبَرر أنْ تفتخرَ بفصاحتك، لكن ما دام الأمر يتعلَّق بالرُسل الذين يكرزون بالحقيقة ويؤكِّدون عليها بآياتٍ وعجائب، فلماذا تفتخر وتنتفخ بأمور هامشيَّة ليس لها أية قيمة، ولا تحمل أيَّ فائدة، حتى في هذه الحياة الحاضرة؟ ما هي القوَّة التي يحملها الكلام، هل يُقِيمُ أمواتًا ويطرد **شياطين** أو يصنع مثل هذه العجائب؟ الآن يوجد احتياج لهذه الأمور وبها يبقى إيماننا نقيًّا، ولهذا أضاف:

«لأَنَّ مَلَكُوتَ اللهِ لَيْسَ بِكَلاَمٍ، بَلْ بِقُوَّةٍ». (١كو ٤:٢٠).

يقول: لقد غلبنا بالعجائب والآيات وليس بالفصاحة، ولأنَّ المعجزات التي جرت قد تمَّت بقوَّة **الرُّوح القُدُس**، ونحن نقدمها كدليل وبرهان كبير وعظيم على أنَّ التعليم هو تعليم إلهي، وأنَّ الكرازة هي بملكوت السموات. فلو أنَّ أولئك المنتفخين قد أرادوا الآن أنْ يكونوا ذوي شأنٍ عظيم، فليُظهِروا – عندما آتي – إنْ كان لهم مثل هذه القوَّة. ولا ينبغي أن ينتفخوا بالكلام فقط، لأنَّ التصنُّع لا يعني أيّ شيء بالنسبة لنا.

(يتبع في العدد القادم)

في دير القديس خوجافا – وادي القلط

✝ **مرَّةً**، أدخلني **الأرشمندريت أنطونيوس** إلى غرفته الخاصة لأُشاهد عجيبةً حدثت معه، إذ كان الأب الروحي لي. كانت الطاولة في غرفته قد اشتعلت واحترقت تمامًا، وأصبح سطحها أسود ما عدا مساحة صغيرة لم تمسّها النار. على تلك المساحة، كان هناك مبلغٌ بقيمة **عشرة آلاف دولار** لم يحترق إطلاقًا. فقال لي **الأرشمندريت أنطونيوس**: **«هذه إشارة من السماء تُعلمني أنه يجب أن أستخدم هذا المال لخدمة الدير، لا أن أحتفظ به. ينبغي أن يُستثمر لمجد اسم المسيح.»** وهكذا كان فعلًا.

هناك الكثير من العجائب والمواقف الروحيَّة التي زيّنت حياة **الأرشمندريت أنطونيوس**، الذي أحبَّ المسيح بكل قلبه وفكره وعقله.

توزّع هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح
المحرّر المسؤول:
هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩
e-mail: light_christ@yahoo.com
http://lightchrist.org/bulletins.html

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:
IBAN: IL480127260000000111122